

مجلة التذكير

مجلة دورية علمية محكمة تُعنى بحكيم ونشير الجوت والدراستات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم ، وتصدر مرتين في سنة

العدد الرابع عشر - السنة السابعة. رجب ١٤٤٤هـ / يناير ٢٠٢٣م

(Issn-L): 1658-7642

Q1: 0.375 (2021) معامل تأثير أرسيف لعام

﴿ كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]

موضوعات العدد:

الدلالات القرآنية المستنبطة من سورة الصافات وأهدافها القرآنية

د. مهدي ماجد رزق أحمد

من وجهة الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقضي الظاهر تفديده في الذكر الحكيم

أ.د. أحمد محمد محمود سعيد

منهج القرآن في تقرير صلة الأرحام وتبيان فضلها

أ. عبد الناصر سلامة

تحرير القول فيما قال فيه المفسرون ، «وقف قائم»

وأثره في المعنى من أول القرآن الكريم إلى نهاية سورة الكهف بحثاً ودراسة

د. عادل بن سعد الجهمي

تقرير عن رسالة علمية «وكلوا زاده» بعنوان:

وجه التفسير والبيان ، في الأحاديث التي استشهد

النبي ﷺ فيها بآيات من القرآن بحثاً ودراسة

د. حسن بن عواد بن بلال العوفي

تقرير عن مشروع التفسير المحرر للقرآن الكريم

التابع لمؤسسة الدرر السنية



ISSN

ISSN

Arcif Analytics

ib

ORCID

INDEX COPERNICUS INTERNATIONAL

Google Scholar

معرفة e-Marefa

دار المنظومة

DAR ALMANUWAH

Crossref

مجلة تنكير

.....

مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْنَضِي الظَّاهِرُ
تَقْدِيمَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ

Aspects of Rhetorical Exegesis In Backgrounding
the Apparently- deserving Foregrounding in the
Holy Quraan

(Issn-L): 1658-7642

معامل ناير آر سيف لعام
Q1: 0.375 (2021)

أ.د. أحمد محمد محمود سعيد

Professor Ahmed Mohammed Mahmoud Saeed

أستاذ البلاغة والنقد في جامعتي: الأزهر الشريف
بمصر، وطيبة بالمدينة المنورة

Professor of Rhetoric & Criticism, Department
of Arabic Language & Humanities, Taibah
University

قدم للنشر في: ٢٢-١٠-١٤٤٣هـ الموافق ٢٣-٥-٢٠٢٢م
قبل للنشر في: ١٤-١٢-١٤٤٣هـ الموافق: ١٣-٧-٢٠٢٢م
نشر في: رجب ١٤٤٤هـ الموافق: يناير ٢٠٢٣م
مدة التحكيم مع قبول النشر: (٦١ يوماً).
متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (١١٩ يوماً).

- ◆ حصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية -البلاغة والنقد من كلية اللغة العربية بالقاهرة- جامعة الأزهر الشريف، بأطروحته: (من بلاغة القيود والمتعلقات في الحديث النبوي الشريف في صحيح مسلم).
- ◆ حصل على درجة الماجستير في اللغة العربية -البلاغة والنقد من كلية اللغة العربية بالقاهرة- جامعة الأزهر الشريف، بأطروحته: (شعر عبید بن الأبرص ... دراسة بلاغية نقدية).

بعض النتائج العلمية:

- ◆ (من وجوه الإعجاز النظمي في آيات الإنس والجنّ التقديم والتأخير): بحث منشور في حوليّة كلية الدراسات الإسلامية والعربية - فرع جامعة الأزهر بدسوق.
- ◆ (من أسرار التعبير بالاسم الظاهر في موضع الضمير في الحديث النبوي الشريف)، دراسة تطبيقية لإحدى صور مخالفة مقتضى الظاهر في صحيح مسلم.
- ◆ (الليحاء البلاغي وأثره النفسي في تحقيق الغرض الشرعي لآيات الربا): بحث منشور في حوليّة كلية الدراسات الإسلامية والعربية - فرع جامعة الأزهر بدسوق.
- ◆ (من وجوه الملاءمة بين المقال والمقام في وصفي العذاب «المهين والأليم» في الذكر الحكيم) بحث منشور في مجلة قطاع كليات اللغة العربية والأقسام المناظرة لها - جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة.
- ◆ (الإيحاء البلاغي لـ «ها» التنبيهية إثباتاً وإسقاطاً من اسم الإشارة «أولاء» الواقع بعد الضمير في الذكر الحكيم)، بحث منشور في الجزء الثاني من العدد الثاني عشر من مجلة تدبر، رجب ١٤٤٣هـ.

البريد الشبكي: Email: d.ahmed201664@yahoo.com



المستخلص

◆ موضوع البحث:

تتبعُ الإشارات البلاغية الداعية إلى مُخالفة الأعراف القاضية بتقديم الأهمّ الذي يقتضي الظاهر تقديمه على غيره في الذكر الحكيم، وبيان تلك اللطائف قدر الإمكان.

◆ مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تلك المخالفة الصريحة لما استقرّ في المزاج العربي من تقديم ما بيّنه أهمّ لهم، وهم بيّانه أعنى.

أهداف البحث: محاولة ترجمة اللطائف البلاغية الكامنة وراء تلك الظاهرة التركيبية؛ بما يكشف النقاب عن أحد وجوه الإعجاز القرآني الباهرة.

◆ منهج البحث:

ينتهج البحث المنهج الوصفي التحليلي، الذي يستثمر نظرية النظم، ويسائل الخصيصة التركيبية في سياقها، منتفعاً بشمولية الثقافة الإسلامية والعربية، وغزارة التراث الخادم في ذلك.

◆ من أهم نتائج البحث:

* أن الذكر الحكيم قد يؤثّر تأخير العنصر الأولي بالتقديم؛ إبعاداً له عن رائحة دلالة لا تلائم مرتبته، وإقصاءً له عن ظلال أجواء لا تناسب رُتبته.



* أن الذكر الحكيم قد يؤخر الأهم ليُلحقه بما يُناسبه بُعَيْده؛ فيُحقّق بذلك توازنًا في الأغراض الشرعية والإشارات البلاغية بين المقدّم المهمّ والمؤخّر الأهمّ.

* أن الذكر الحكيم قد يؤخر الأهمّ - عقيدة أو ديانة أو غيرهما - تدرّجًا في الوصول إليه عبّر الأدنى منه رتبة المقدّم عليه؛ ليكون المقدّم الأدنى تهيئةً له ووُصلةً إليه.

* أن تأخير الأهمّ - لفظًا - يؤول به عند التحقيق إلى تقديمه رتبةً في بابه، بل إن الإبقاء على تقدّمه رتبةً لا يتحقّق إلا بتأخيره لفظًا في ذلك السياق.

♦ التوصيات:

يوصي البحث طلاب العربية الجادّين بتتبّع الظواهر الأسلوبية المخالفة لما استقرّت عليه أعراف اللسان العربي - في النصوص الفصيحة عمومًا، وفي النصوص الشرعية خصوصًا - إذ تتجلى البراعة وتزهو البلاغة على وجهها الأنور، ويتحقّق متاع الذائقة اللغوية لدى الباحث في تلك المخالفة اللافتة بدرجة أكبر.

كلمات مفتاحية: بلاغة، التأخير، التقديم، الذكر الحكيم، الإعجاز.





Aspects of Rhetorical Exegesis In Backgrounding the Apparently- deserving Foregrounding in the Holy Quraan

Professor

Ahmed Mohammed Mahmoud Saeed

Professor of Rhetoric & Criticism,

Department of Arabic Language & Humanities, Taibah University

Reviewed on: 2022/05/23.

Publication approved on: 2022/07/13.

Published in the: 14th issue January 2023.

Period of review and publication approval letter: (61 days).

Average period of review and publication: (119days).

Email: d.ahmed201664@yahoo.com

Abstract

Subject: tracing rhetorical signs that deviate from the norm of prepositioning the most important in Holy Quraan, and explaining these subtle phenomena.

Research problem: the research problem lies in this explicit deviation from the stylistic features of Arabic which preposes the most important.

Research Objectives: interpreting these rhetorical subtleness to uncover the exegesis of the Quraan.

Research Methodology: the research adopts the analytical

approach, employing the Nazm theory, exploring the feature in its context, making benefit of the richness of the Islamic culture.

Research Findings:

* Quraan my prefer postposition an element which has priority to be foregrounded to avoid collocational clashes.

* Quraan may postpose the most important element in the sentence to achieve good collocational usage to realize balance in the lawful purposes and rhetorical signs between the preposed and postposed.

* Quraan may postpose the most important, from an Islamic point of view, to be introduced by the least important.

* postposing the most important in its sentential order reveals under scrutiny that it is preposed in its class, and this non- literally prepositioning can not be achieved without this sentential order.

Recommendations: Students of Arabic are highly recommended to trace these unconventional stylistic phenomena in the classical Arabic texts in general, and in shariah texts in particular. The eloquence of the usage is crystal clear in these cases and the researcher can enhance his/her linguistic skills.

Keywords: rhetoric, preposition, postposition, Quraan.





المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، وصلِّ اللهم وسلِّم وزِدْ وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين، واجعلنا اللهم منهم ومعهم وفيهم، ووالدنا وأولادنا، وأهلينا وأحبائنا، وأصحاب الحقوق علينا أجمعين.

أما بعد؛ فإن الذوق العربيّ يقضي بتقديم العنصر الأهمّ الذي يقتضي الظاهر تقديمه على غيره في التراكيب الفصيحة، وقد صرّح بذلك إمام النحاة سيويه **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** وأوجز غايته في قوله الدائع: «كأنهم إنما يُقدِّمون الذي بيانه أهمُّ لهم، وهم بيانه أَعْنَى - وإن كانا جميعاً [أي المقدم والمؤخر] يُهْمَانِهِمْ وَيَعْنِيَانِهِمْ»^(١)، ثم قرّره باستقصاء وبَسَطَ تفاصيله بأريحية إمام البلاغين عبد القاهر الجرجاني، حيث نسج من عبارة سيويه **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** «باب التقديم والتأخير»، داعماً بشواهد كثيرة مُحَلَّلَةٍ، تُمثِّلُ وُجُوهًا مُنَوَّعةً من وجوه التقديم في المزاج العربيّ الدقيق.

وقد كان سيويه **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** دقيقاً في تعبيره؛ إذ لم يقطع في حكمه ولم يُعمِّم فقال: «كأنهم إنما يُقدِّمون...»، ولم يقل: إنهم إنما يقدمون...، فصَدَّرَ الحُكْمَ بـ «كأنَّ» المشكّكة في اطراد الحكم غير الجازمة به. فهو من خلالها يقرّر أن تقديم الأهمِّ حُكْمٌ أَغْلِبِيٌّ غيرُ مَطَّرِدٍ، وهذا ما تَقَرَّرَ جلياً بِوُرُودِ الأهمِّ في الذكر الحكيم

(١) عمرو بن عثمان بن قنبر سيويه، «الكتاب». تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣)، مكتبة



مؤخراً أحياناً؛ لاعتبارات تقتضي تأخيرَه، ينهض هذا البحث المتواضع بيان بعضها قَدْرَ الطاقة، إن شاء الله تعالى.

ومنذ سيويه وعبد القاهر والعلماء يستفرغون جهودهم في بيان وَجْه تقديم المقدم الأهم -الأولى في سياقه ومقامه وغرضه- بالتقديم. واعتصروا من عبارة سيويه ثمرة كل تقديم في كلمتي: «العناية والاهتمام»، سواءً في ذلك ما كان تقديمًا على نية التأخير -أي: بحسب مواقع العناصر اللغوية في التركيب ومَحَالِّها من الإعراب- كتقديم الفاعل والمفعول على عاملهما، وتقديم الاسم على الخبر الفعلي، وتقديم متعلقات الفعل بعضها على بعض - وما كان تقديمًا لا على نية التأخير؛ وهو محلّ الغُمُوض في قضية التقديم والتأخير عمومًا. وقد فرَّعوا من «العناية والاهتمام» أغراضًا كثيرة؛ منها: إفادة القصر والحصر والتخصيص -على اختلاف النحويين والبلاغيين في المصطلح- ومنها إفادة التقرير والتوكيد. والتقرير والتوكيد يكونان للمعاني والأغراض بحسبها -على اختلاف المقامات والسياقات- وقد أسهمت في هذا الصدد -بحمد الله تعالى وتوفيقه- بجُهد متواضع، نُشر في مجلة إحدى كليات الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر الشريف منذ عشرين عامًا^(٢).

وقد انشغل البلاغيون ببحث اللطائف الكامنة وراء تقديم المُقَدَّم -سواءً في ذلك ما ورد في الذكر الحكيم، وما ورد في السنة الشريفة، وما ورد في كلام الناس-

(٢) ينظر: أحمد محمد محمود سعيد، «مِنْ وَجْهِ الإعْجَازِ النِّظْمِيِّ فِي آيَاتِ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ - التقديم والتأخير»، حَوْلِيَّةُ كَلِيَّةِ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ / فَرْعِ جَامِعَةِ الْأَزْهَرِ بِدَسُوقِ، ع ٤٤، (٢٠٠٢م).



انشغلوا بذلك عن بحث الأغراض واللطائف الكامنة وراء تأخير المؤخر حين يكون هو الأهم، الذي يقتضي الظاهر تقديمه طراداً على ما شاع وذاع في ثقافتنا العربية والدينية وما ورد في نصوص ديننا الحق.. ولم أظفر ببحث قصّد إلى ذلك وتوفّر عليه، وإن وجدت - حين استقصيت تلك المواضع - في التفسير ما أستأنس به لبعض ما ألهمته من إشارات معتبرة، وقد أشرت إلى ذلك في مظانه من البحث بحمد الله تعالى.

ولمّا لم أقف على عمل علمي مستقل يُعنى بتتبع وجوه تأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه مع إطلاقهم صراحةً على الباب: (باب التقديم والتأخير) - دعاني ذلك إلى محاولة تتبع أسرار المطوية ما أمكن في مواضعه التي ظهرت لي من الذكر الحكيم، وألح عليّ في ذلك ما لاح لي من لطائف جديرة بالتدوين؛ فأوليت الفكرة اهتمامي حتى ظهر هذا البحث المتواضع، بحمد الله تعالى.

ومن العجيب أن الإمام عبد القاهر - وهو من هو اتّقاد ذهن وقوة لمح وبراعة تعبير وتصوير - ومن بعده من علماء البلاغة والنقد إلى عصر الشراح وأصحاب التقارير إلى عصرنا الراهن - لم يُعنوا إلا ببحث لطائف المقدّم واستقصاء أغراض تقديمه دون التنبيه إلى لطائف تأخير الأهم حين يؤخر، وهو موضوعنا هنا.

ولأنّ تقديم الأهم هو الأصل نجد ما ورد منه مؤخراً عن غيره في الذكر الحكيم مواضع قليلة إذا قيس بما قدّم منه، وقد اقتضى تأخير ما أخر منها مقتضيات جليّة، بحيث إنه قد يدقّ بعضها على الأفهام؛ فارتأيت جمعها - ما أمكن - في بحثٍ متخصصٍ يتبع ما تناثر حولها من اجتهادات العلماء، ويُنسّقها، ويُضيف إليه ما يفتح الله تعالى به - على عبده الفقير - من لطائف وأسرار؛ ينفي



بها عن تأخير الأهم -الذي يقتضي الظاهر تقديمه- زَيْغَ الجهلاء بأسرار اللسان، ويدفع تُهَمَ الملاحة الحاقدين، وَيَرُدُّ عليهم مطاعنهم، وَيُقَرِّبَ لطائف تأخيرهِ إلى طلاب العربية بخاصة، وإلى أهل الإسلام بعامة، وَيَبَيِّنُ عن وَجْهِ أنور من وجوه إعجاز الذكر الحكيم الباهرة.

وجاء البحث تحت عنوان: «مِنْ وَجْهِ الإعْجَازِ البَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ»، وآثرتُ في العنوان مصطلح «تَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ» دون «تأخير ما حَقُّه التقديم» لئلا يَلْتَبَسَ بما شاعَ في «باب التقديم والتأخير» مِنْ تَعَلُّقِ الْأَحْقِيَّةِ بالمواقع الإعرابية، فمصطلح «الظاهر» أوسع دلالةً وأدقُّ تحريراً لِلْفِكْرَةِ المقصودة. ولا شكَّ أن كُلَّ «ظاهر» يكون بحسب القضية المعالَجة، وبحسب الرُّتبة دينيةً كانت، أو سياسية، أو اجتماعية، أو غيرها مِنْ الرُّتَبِ، بِحَسَبِ المقامات التي يرد فيها ذلك النوعُ من التأخير. وسواء أكانت في الدنيا أم في الآخرة؛ ترغيباً وتكريماً، أو ترهيباً وإهانة.

وقد اتَّخَذَ البحثُ مِنْ كُلِّ غرضٍ مبحثاً، يعالج تحته محاور، ينهض كُلُّ محور منها بدراسةٍ موضعٍ، تحت عناوين مُستقاةٍ مِنْ ناضحِ أغراض تأخير المهم، الأولي بالتقديم، فجاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، ثم خاتمة وفهارس، على الوجه التالي:

المقدمة: تكشف عن أسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: يكشف وجه مُباينة التأخير هنا لـ «تأخير ما حَقُّه التقديم» هناك في

النحو.



المبحث الأول: (من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه في مقام الإشادة والتكريم) وتحت أربعة محاور:

المحور الأول: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه إبعاداً له عن ظلال لا تلائم، وإلحاقاً له بقيد شريف يرفعه.

المحور الثاني: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه ترقياً إليه عبر الأدنى منه رتبة.

المحور الثالث: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه عطفًا على غيره إجمالاً؛ لتقديمه مع متعلقاته الشريفة تفصيلاً.

المحور الرابع: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه إبعاداً له عن ساحة معنى لا يليق به.

المبحث الثاني: (من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه في مقام الزجر والوعيد)، وتحت ثلاثة محاور:

المحور الأول: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه تحقيقاً للقضية، ومراعاة لترتيب الأحداث لفاً ونشراً.

المحور الثاني: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه في مقام ذكر العذاب لتوسيطه بين جناحي طغيانه إمعاناً في إذلاله بهما.

المحور الثالث: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه إنصافاً للمقدم، شمله المؤخر أو لم يشمله.

المبحث الثالث: (من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه



في مقام التثبيت بالإيمان بالله تعالى). وتحتة محوران:

المحور الأول: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه تبرئة للقضية المعالجة من شبهة ما لو قدم.

المحور الثاني: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه ليتصل بما بعده ترهيباً منه.

الخاتمة: وفيها أهم ما أسفر عنه البحث من نتائج أرجو لها التوفيق والقبول.

الفهارس: فهرس الآيات القرآنية، وفهرس المصادر، وفهرس الموضوعات.

هذا، والله تعالى أرجو أن يكون رضوانه ﷻ من وراء القصد، وأن يرزق كاتبه وقارئه التوفيق والقبول والأجر، وأن يُعمَّ به النفع، إنه سبحانه حسبنا ونعم الوكيل.

وكتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه الرحمن الرحيم

أحمد محمد محمود سعيد

أستاذ البلاغة والنقد في جامعتي الأزهر الشريف، وطيبة الطيبة.

المدينة المنورة في عشية يوم الخميس الموافق الرابع والعشرين من شهر

ذي القعدة ١٤٤٣ هـ- الثالث والعشرين من شهر يونيو ٢٠٢٢ م.





تمهيد

أفاض الإمام عبد القاهر **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** في مسألة التقديم^(٣)، وقاده اجتهاده إلى تقسيم التقديم إلى: «تقديم على نية التأخير»، وهو تقديم المؤخر مُحْتَفَظًا بوجه إعرابه، مُصْطَحِبًا إياه؛ كتقديم المفعول به منصوبًا كما هو على الفعل وفاعله، مثل: «محمدًا أكرمْتُ»، فذلك يتعلّق بالجانب التركيبي النحويّ في الكلام، ويعني احتفاظ المُقَدَّم - الذي حقُّه التأخير - برتبته التركيبية التي كان عليها قبل التقديم، واحتفاظ المؤخّر - الذي كان حقُّه التقديم - برتبته التي كان عليها قبل التأخير، ومصاحبة كلّ لوجه إعرابه وحُكْمِهِ الأوّل؛ إن كان مرفوعًا فمرفوع، وإن كان منصوبًا فمنصوب، وإن كان مجرورًا فمجرور... و«تقديم لا على نية التأخير»؛ كتقديم المفعول به متخلّيًا عن النصب إلى الرفع فيصير مبتدأ مثل: «محمدًا أكرمته».

وقادَ ذلك عبد القاهر إلى الحديث عن رُكني الجملة اللّذين يُمكن لكلّ منهما أن يكون مبتدأ وأن يكون خبرًا، مثل: «هذا أخي»، و«أخي هذا»، وأبان **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** عن أن المزاج اللغويّ حينئذ يقود إلى بناء المجهول من ركني الجملة هذين - لدى المخاطب - على المعلوم لديه منهما.. فَمَنْ عَرَفَ أَنَّ لَكَ أَخًا وَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ «هذا» تقول له: «أخي هذا»، فتقدّم له المعلوم لديه لِتَبْنِي عليه المجهول^(٤)، وتقول لمن يعرف «هذا» ولا يعرف أنه أخوك: «هذا أخي»..

(٣) ينظر: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، «دلائل الإعجاز»، تحقيق: محمود محمد شاكر،

(ط٣)، القاهرة - جدة: مطبعة المدني - دار المدني، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ١٠٦.

(٤) ينظر: الجرجاني، «دلائل الإعجاز»، ١٨٩.



وبحثنا هنا ينتمي إلى القسم الثاني «التقديم الذي ليس على نية التأخير»؛ إذ يصح صناعة تقديم المؤخر الذي يقتضي الظاهر تقديمه، وتأخير المقدم الذي يقتضي الظاهر تأخيره دون أثر لفظي. والظاهر الذي يقتضي تقديم المؤخر إنما يكون باعتبار غلبة وروده مقدّمًا في الذكر الحكيم، أو باعتبار تقدّم رتبته وشهرته وذويع ذلك في بابه، مما ترسّخ فينا ذوقًا لغويًا، أو شريعة أو ديانة وعقيدة ندين الله بها.

ولا تعني أولوية ما يقتضي الظاهر تقديمه أنه أولى بالتقديم في ذلك الموضع -الذي ورد فيه مؤخرًا- بخاصّة؛ وإنما تعني أولويته بالتقديم على الإجمال في هذا الموضع وفي غيره بحسب الموروث الديني، أو اللغوي، أو غيرهما. وسيتجلّى خلال البحث -إن شاء الله تعالى- دور المقام في استيجاب تأخير حيث أُخر، وسنرى -إن شاء الله تعالى- أن تأخير ما أُخر -مما يقتضي الظاهر تقديمه- لا يعني أبدًا تأخره قيمةً ومكانةً ومنزلةً، بل إنما أُخر -حيث أُخر- في الذكر فقط، ولغرض طارئٍ مُختصٍّ بموضع تأخيره هذا، وأنه سيظل هو المقدم في بابه -وإن أُخر مكانًا ومنزلاً- ليتقرّر لدى الناس صدق هذا الدين الحق، واتّساق ذلك الكتاب الخالد.





المبحث الأول

مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ
فِي مَقَامِ الإِشَادَةِ وَالتَّكْرِيمِ

وتحتة أربعة محاور:

المحور الأول: مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ
إِبْعَادًا لَهُ عَنْ ظِلَالٍ لَا

تُلَاقِيهِ، وَإِلْحَاقًا لَهُ بِقَيْدِ شَرِيفٍ يَرْفَعُهُ.

المحور الثاني: مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ
تَرْقِيًا إِلَيْهِ عَبْرَ الْأَذْنَى مِنْهُ رُتَبَةً.

المحور الثالث: مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ
عَطْفًا عَلَى غَيْرِهِ إِجْمَالًا؛ لِتَقْدِيمِهِ مَعَ مُتَعَلِّقَاتِهِ الشَّرِيفَةِ تَفْصِيلًا.

المحور الرابع: مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ
إِبْعَادًا لَهُ عَنْ سَاحَةِ مَعْنَى لَا يَلِيْقُ بِهِ.





المحور الأول

مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ
إِبْعَادًا لَهُ عَنْ ظِلَالٍ لَا تُلَائِمُهُ، وَإِلْحَاقًا لَهُ بِقَيْدٍ شَرِيفٍ يَرْفَعُهُ

يقول الله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوْمِعٌ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج: ٣٩، ٤٠].

◆ سبب نزول هذه الآيات:

أنه «كَانَ مُشْرِكُو أَهْلِ مَكَّةَ يُؤْذِنُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَا يَزَالُونَ يَجِيئُونَ مِنْ بَيْنِ مَضْرُوبٍ وَمَشْجُوجٍ، فَشَكَّوهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُ لَهُمْ: «اصْبِرُوا؛ فَإِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِالْقِتَالِ»، حَتَّىٰ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا أُخْرِجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، لَنَهْلِكَنَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ﴾ الْآيَةَ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ» (٥).

◆ المعنى الإجمالي للآيات:

قال النيسابوري: «لولا أن الله ﷻ دفع بعض الناس ببعض لهدم في شريعة كل

(٥) علي بن أحمد الواحدي، «أسباب نزول القرآن». تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، (ط ٢،



نَبِيِّ الْمَكَانُ الَّذِي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ، فَكَانَ لَوْلَا الدَّفْعُ لَهْدَمَ فِي زَمَنِ مُوسَى ﷺ الْكَنَائِسُ
الَّتِي كَانَ يَصَلِّي فِيهَا فِي شَرِيعَتِهِ، وَفِي زَمَنِ عِيسَى الصَّوَامِعِ وَالْبَيْعِ^(٦)، وَفِي زَمَنِ
مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَسَاجِدُ^(٧)، وَيُقَالُ: لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ بِالْأَنْبِيَاءِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِالْمُؤْمِنِينَ
مِنْ غَيْرِهِمْ، لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ الرِّهْبَانِ وَبَيْعُ النَّصَارَى^(٨)، «وَلَكِنْ أَلَطَفَ اللَّهُ عَظِيمَةً،
وَأَيَادِيهِ جَسِيمَةً، وَهَذَا وَشَبْهُهُ يَعْرِفُ حِكْمَةَ الْجِهَادِ الدِّينِيِّ، وَأَنَّهُ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ؛ لَا
كَقَتَالِ الظُّلْمَةِ الْمَبْنِي عَلَى الْعَدَاوَاتِ وَالْجَشَعِ وَالظُّلْمِ وَالْإِسْتِعْبَادِ»^(٩).

قال الأستاذ الخطيب: «وفي هذا أيضًا إشارة إلى أنه سيكون للمسلمين

(٦) «بَيْعٌ جَمْعُ بَيْعَةٍ، وَهِيَ كَنِيسَةُ النَّصَارَى، وَصَلَوَاتٌ وَهِيَ كَنَائِسُ الْيَهُودِ، وَهِيَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ صَلُوتَا،
﴿وَمَسْجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] بِمَعْنَى: مَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ
ﷺ. أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيِّ، «الْوَسِيطُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ»، تَحْقِيقُ: الشَّيْخُ/
عَادِلُ أَحْمَدَ عَبْدِ الْمَوْجُودِ وَآخَرِينَ، (ط ١، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوت - لُبْنَانُ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)
٣: ٢٧٤.

(٧) إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ بْنِ سَهْلٍ الزَّجَّاجُ، «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ». تَحْقِيقُ: عَبْدِ الْجَلِيلِ عَبْدِ شَلْبِي.
(ط ١، بَيْرُوت: عَالَمُ الْكُتُبِ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، ٣: ٤٣١.

(٨) نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمُرْقَنْدِيُّ، «بَحْرُ الْعُلُومِ»، (الشَّامِلَةُ: ٥١٤٣١)، ٢ / ٤٦١. وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْعُلَمَاءُ
بَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ «دَلَالَةٌ [عَلَى] تَرْكِ هَدْمِ الْكَنَائِسِ وَالْبَيْعِ وَمَا ذَكَرَ، وَالنَّهْيِ عَنْ هَدْمِهَا؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ
الصَّوَامِعَ وَالْبَيْعَ، وَعَلَى ذَلِكَ تُرِكَتِ الْكَنَائِسُ وَالْبَيْعُ فِي أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ لَمْ تُهْدَمْ، وَلَا خِلَافَ بَيْنِ
أَهْلِ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَمْنَعُونَ عَنْ إِحْدَاثِ الْبَيْعِ وَالْكَنَائِسِ فِي أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ وَقِرَاهِمَ، وَأَمَّا
الْعَتِيقَةُ مِنْهَا فَإِنَّهُمْ يَتْرَكُونَ وَذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ». مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ، «تَفْسِيرُ الْمَاتَرِيدِيِّ -
تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السَّنَةِ». تَحْقِيقُ د/ مَجْدِي بَاسْلُومَ، (ط ١، بَيْرُوت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ١٤٢٦ هـ -
٢٠٠٥ م)، ٧ / ٤٢٥.

(٩) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرٍ السَّعْدِيِّ، «تَيْسِيرُ اللَّطِيفِ الْمَنَانِ فِي خِلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ». (ط ١، السَّعُودِيَّة:
وَزَارَةُ الشُّؤْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ وَالدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ، ١٤٢٢ هـ)، ١: ١٠٩.



مساجد، وأن هذه المساجد ستعمر بالمصلين والذاكرين الله كثيراً فيها... وهو وعدٌ كريمٌ من ربِّ كريم، لجماعة المؤمنين يومئذ... وقد تحقق هذا الوعد - وكان لا بد أن يتحقق - فملأت المساجد آفاق الأرض، وامتألت بالمصلين، واهتزت جنباتها بالذاكرين»^(١٠).

◆ الشاهد في الآيات:

تأخيرُ ذِكرِ «المساجد» عن «الصوامع، والبيع، والصلوات»^(١١)، ولأن عادة علماء البلاغة واللغة والدين في البحث عن الأغراض والأسرار قد اطرّدت على العناية بأسرار تقديم المقدم لا بتأخير المؤخر، فإن بعض المفسرين قد انشغل بتقديم دور العبادة غير «المساجد» على «المساجد»، كما اعتنى لفيفٌ منهم بأسرار

(١٠) عبد الكريم يونس الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن». (د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ٩: ١٠٤٥.

(١١) ذهب أغلب علماء الأمة إلى أن المساجد هي دور عبادة المسلمين، وأن ما ذكر غيرهما دور عبادات غيرهم، وذهب الضحّاك إلى أن المساجد تطلق على ما ذكر قبلها «الصوامع والبيع والصلوات» كلّها، وأنها كلها يُذكر فيها اسم الله كثيراً، قال الطبري: «وَأَوَّلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ الرُّهْبَانِ، وَبِيعُ النَّصَارَىٰ، وَصَلَوَاتُ الْيَهُودِ، وَهِيَ كَنَائِسُهُمْ، وَمَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا. وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا الْقَوْلَ أَوَّلَىٰ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُسْتَفِيزِ فِيهِمْ، وَمَا خَالَفَهُ مِنَ الْقَوْلِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ فَعَبْرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وَجَّهَهُ إِلَيْهِ مِنْ وَجَّهَهُ إِلَيْهِ». محمد بن جرير الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن». تحقيق: الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ١٦: ٥٨. ويكفي قول ابن عباس بأن المساجد هنا هي مساجد المسلمين. ينظر: عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، «زاد المسير في علم التفسير». تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، ٣: ٢٤٢.



تأخير «المساجد» لا تقديم المقدم من دور العبادة سواها.

وأشهر ما تبادر إلى العلماء وأكثر ما ذاع بينهم من أسباب تأخير ذكر «المساجد» عن غيرها من دُور العبادة الأخرى - تأخُرُ زمان «المساجد» عن زمانها، ومراعاة ذلك الترتيب الزمني؛ وهنا أقول: ليست مراعاة الترتيب الزمني غرضاً بلاغياً يُعتدُّ به منفرداً؛ بل مع الترتيب الطبيعي لا تأخير لأوّلٍ، ولا داعي إذن يدعو من قال به إلى البحث عن أغراض أخرى أجلّ؛ إذ لا تأخير حينئذ يلفت فيستحق الدراسة والتأني في البحث، أمّا أن يُذكر الترتيب الزمني مضافاً إلى غيره من أسرار وأغراض فلا بأس به، بل إن تكاثف الأغراض والأسرار وغزارتها وراء الخصيصة في الموضع نفسه أمانة البراعة ودليل الإعجاز.

غير أن أهل الإسلام - عموماً، وعلماءهم خصوصاً - مُجمِعون على أن المساجد أشرف - كما سيأتي إن شاء الله تعالى - وأن رُتبتها أعلى؛ فكان تقديمها في الذكر - وفاء برُتبتها - أوّلٍ وأوجب، وإذ أُخّرت في الذكر فقد وجب أن يكون وراء تأخيرها أسرار ينبغي التماسها من نَظْم الآية الكريمة.

ومعلوم أن هذه الآيات قد أنزلت في عصرٍ ليس لـ «الصوامع والبيع والصلوات»، بل أنزلت في عصر الإسلام؛ عصر «المساجد»، مراكز عبادة الشرع الحنيف الذي يَجِبُ ما قبله^(١٢)، وهي خاتمة الرسالات المعتمدة، فالوقت لها، ثم لأنها على الدوام منذ أن وُجدت وإلى يوم القيامة - إن شاء الله تعالى - كانت وستظل أبعد

(١٢) ينظر: إسماعيل بن محمد الأصبهاني، «الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة». تحقيق:

محمد بن ربيع المدخلي، محمد بن محمود أبو رحيم، (ط ٢)، الرياض: دار الراجعية، ١٤١٩هـ -

١٩٩٩م، ٢: ٥٧٠.



بيوت العبادة عن الشرك ومظاهره، التي تمارس في بيوت العبادة الأخرى، فمن المعلوم أن الشرك لا يزال يخالط عبادات أهل تلك الملل من غير المسلمين؛ أمّا العبادات في «المساجد» فتقوم على التوحيد الصافي الخالص لله ﷻ، لذلك كله كانت رتبة «المساجد» أسبق، وقديسيّتها أعلى، وسنقل أقوال العلماء صريحة في هذا إن شاء الله تعالى.

وإذا تأكّد ذلك فلا ريب أن وراء تأخير ذكر «المساجد» لطائف وإشارات مقصودة، فترى ما لطائف تأخير ذكرها؛ بينما هي أولى بالتقديم؟!

وقبل الخوض في أسرار ذلك يجدر التنبيه إلى أن الترتيب الزمني لا يقف مانعاً من تصرف الذكر الحكيم في التراكيب بالتقديم والتأخير؛ لتحقيق الأغراض المهمة، وبث اللطائف المقصودة؛ فيقدم - أحياناً - ذكر الأعلى رتبة الذي يقتضي الظاهر تقديمه على غيره - وإن تأخر وجوده عن الأدنى زماناً - مع التنبيه اللبّق إلى بقاء الترتيب الزمني وفق الواقع كما هو، نجد ذلك فصيحاً في مثل قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْسُونٍ ۖ ﴿٦٦﴾ وَلِجَانٍ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ۖ﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧]، فقدم هنا خلق الإنسان في الذكر على خلق الجن مع سبق خلق الجن؛ وذلك للتنبيه إلى شرافة خلق الإنسان، وكرامته على الله ﷻ، ثم نبّه النظم الكريم إلى قبليّة خلق الجن؛ فحقّق الأمرين جميعاً: تقديم الأشرف الأولى بالتقديم، وضبط ترتيب زمني الخلقين.

وقد استدلّت على تقدّم رتبة خلق الإنسان من هذا النظم الكريم أيضاً بإيقاع فعل الخلق الأول - المسند إلى ضمير العظمة - على صريح اسم الإنسان: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، هكذا بإضفاء التشريف المباشر على الإنسان، وتقريبه إلى ساحات



الطُّهْر والكرامة، بينما أوقع فعل الخَلَقَ الثاني على ضمير الجانِّ دون اسمه الصريح: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْتَهُ﴾، وكأن فيه إبعاداً له عن ساحة الكرامة والطُّهْر^(١٣). فالنظم الكريم إذن يتصرف في التراكيب بدقّة مقصودة، قادرة على ضبط المعاني كما يُراد بها ومنها؛ لذلك وجب البحث عن أسرار تأخير ذكر «المساجد» مع أولويتها بالتقديم على غيرها من دُور العبادة؛ وإن كانت كلها دُور عبادة.

إنّ تقديم ذكر دُور العبادة غير المساجد في الآية هنا قد أثار شبهةً تشبّث بها علماء غير مسلمين، وقد ذكر الشبهة ورَدّها صاحبُ «الإشارات الإلهية»، فقال: «احتجَّ بعضُ النصارى من هذه [الآية] بوجهين: أحدهما: أنه قدّم ذكر الصوامع والبيع - وهي من شعار النصارى - على «المساجد» - التي هي شعار المسلمين - وذلك يقتضي أن النصارى ودينهم أفضل، الثاني: أنه وصّف الصوامع والبيع بذكر الله فيها كثيراً كالمساجد على جهة المدح، وهو يقتضي مدح النصارى، وصحة عباداتهم وأذكارهم، وإلا لما مُدحت. والجواب:

عن الأول: أن العطف [جاء] بالواو، وهي لا تفيد الترتيب، ثم يلزمهم من قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَاتِ وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧] أن تكون هذه الطوائف الثلاث أفضل من النصارى لتقديمها عليهم.

وعن الثاني: أن ﴿يَذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ عائد إلى المساجد؛ لأنها الأقرب دون غيرها، سلمنا رجوعه إلى الجميع لكنه [محمول على] بيع المؤمنين

(١٣) ينظر: أحمد محمد محمود سعيد، «من وجوه الإعجاز النظمي في آيات الإنس والجن - التقديم

والتأخير»، ص: ٥٧١، ٥٧٢.



من النصارى قبل الإسلام؛ مثل: بحيرا الراهب وأشباهه ممن قبل وصية المسيح في الإيمان بمحمد ﷺ بالنية^(١٤).

وإذا كان علماء اللغة والدين يُشغَلون غالبًا بالمقدّم دون المؤخر، وكانت مكانة «المساجد» مقدّمة، وجاءت في الآية مؤخّرة - فقد كان ضروريًا أن يثيرهم تأخير «المساجد» في الذكر عن «الصوامع والبيع والصلوات»، فاجتهد كلٌّ من علمائنا - رحمهم الله تعالى جميعًا - في التقاط الإشارات البلاغية المقصودة وراء ذلك التأخير، وقد فتح الله ﷻ لهم بلطائف وأسرار طيبة، تلائم عظمة الذكر الحكيم، وتدعم في النفوس قضية إعجازه... ويمكننا تصنيف تلك الأسرار بحسب قيمتها عند الباحث تصاعديًا إلى ما يلي:

◆ أولاً: تأخير ذكر «المساجد» مراعاةً للترتيب الزمني بذكر الأقدم فالأحدث؛

لَمَّا كانت شريعة الإسلام آخر الشرائع الإلهية إلى أهل الأرض، وكانت «المساجد» دورَ عبادتها - كان تأخّر ذكرها في الآية الكريمة عن ذكر دورِ عبادة ما سبقها من الرسائل متسقًا من حيث ترتيب زمان كلٍّ؛ فَرُوِيَ ذلك الترتيب الزمني بذكر الأقدم فالأحدث... وهذا الترتيب ليس بالغرض البلاغي الباهر المنشود للبحث؛ لأن الأغراض البلاغية هي ما زاد على المعاني الأصول للكلام، وأفعم التراكيب بالإشارات المعنوية الإضافية على أصل المعنى.

وبرغم ذلك فقد عدّ كثيرٌ من العلماء الترتيب الزمني للرسالات السماوية ودور

(١٤) سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الحنبلي، «الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية».

تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ -

٢٠٠٥م، ١: ٤٤٨.



عبادتها - المذكورة في الآية الكريمة «الصوامع والبيع والصلوات والمساجد» -
غرضاً اقتضى تأخير «المساجد» عنها ذكراً.

وممن علّل بذلك الغرض منفرداً أو مصحوباً بأغراض أخرى لفيف من العلماء؛
فيرى الرازي سبب تقديم المقدم منها «أَنَّهَا أَقْدَمُ فِي الْوُجُودِ»^(١٥)، ويقول النسفي:
«لتقدمها وجوداً»^(١٦)، ويرى القرطبي ذلك الغرض غير وجيه فيسوقه بصيغة
التضعيف فيقول: «قِيلَ: لِأَنَّهَا أَقْدَمُ بِنَاءً»^(١٧)، وكذلك قال صاحب «إعراب القرآن»:
«وأخر ذكر المساجد لأن الصوامع والبيع والكنائس أقدم منها في الوجود»^(١٨).

وتناقل ذلك بعدهم جمع من العلماء احتمالاً جانبياً لا أساسياً، وهم محقون؛
فقد رأيناه - سابقاً - غير لائق ببلاغة النظم الكريم، وإنما نقله البحث وفاءً بما التزم
به من جمع أقوال العلماء في أسباب تأخير المؤخر - «المساجد» الأحق بالتقديم -
كما قالوه.

◆ ثانياً: تأخير ذكر «المساجد» إلحاقاً لها بقيد شريف مختص به عند أغلب العلماء:

يرى كثير من علماء الأمة أن تأخير ذكر «المساجد» قد هيأها للاتصال المباشر

(١٥) محمد بن عمر بن الحسن الرازي، «مفاتيح الغيب - التفسير الكبير». (ط ٣)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ٢٢: ٢٣٠.

(١٦) عبد الله بن أحمد النسفي، «مدارك التنزيل وحقائق التأويل». تحقيق: يوسف علي بديوي، (ط ١)، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٢: ٤٤٤.

(١٧) محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن». تحقيق: إبراهيم البسيوني، (د. ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت)، ١٢: ٧٢.

(١٨) محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، «إعراب القرآن وبيانه». (ط ٤)، دمشق - بيروت: دار اليمامة - دار ابن كثير، ١٤١٥هـ، ٦: ٤٣٨.



بالقيد بجملة الصفة بعدها، وألحقها صراحةً بالمقصود الأعظم من إقامة دور العبادة، وربطها مباشرةً بالقيد الشريف المنوط بها؛ فكانت كأنها به أخصّ - وهو ما صرّح به أغلب العلماء خالصاً لها مختصّاً بها - ذلك القيد هو الوصف بجملة: ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(١٩)، ذهب أغلب علماء الأمة إلى أن المساجد هي دور عبادة المسلمين، وأنّ ما ذكر غيرها دور عبادات غيرهم، وذهب الضحاك إلى أن المساجد تطلق على ما ذكر قبلها «الصوامع والبيع والصلوات» كلها، وأنها كلها يذكر فيها اسم الله كثيراً، قال الطبري: «وَأَوَّلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: لَهَدَمْتُ صَوَامِعَ الرُّهْبَانِ، وَبِيعَ النَّصَارَى، وَصَلَوَاتُ الْيَهُودِ - وَهِيَ كَنَائِسُهُمْ - وَمَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا. وَإِنَّمَا قُلْنَا: هَذَا الْقَوْلُ أَوَّلَى بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُسْتَفْضَى فِيهِمْ، وَمَا خَالَفَهُ مِنَ الْقَوْلِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ فَغَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ فِيمَا وَجَّهَهُ إِلَيْهِ مِنْ وَجَّهَةٍ إِلَيْهِ»^(١٩).

وقال الفخر: «الْأَقْرَبُ أَنَّهُ مُخْتَصَّ بِالْمَسَاجِدِ؛ تَشْرِيفًا لَهَا بِأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يَحْصُلُ فِيهَا كَثِيرًا»^(٢٠)، ونقل القرطبي عن النحاس قوله: «الَّذِي يَجِبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى حَقِيقَةِ النَّظَرِ أَنْ يَكُونَ ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ﴾ عَائِدًا عَلَى الْمَسَاجِدِ، لَا عَلَى غَيْرِهَا؛ لِأَنَّ الضَّمِيرَ يَلِيهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَعُودَ عَلَى (صَوَامِعُ) وَمَا بَعْدَهَا، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَقَتَ شَرَائِعِهِمْ وَإِقَامَتِهِمْ الْحَقَّ»^(٢١)، أمّا في زمن الشريعة الإسلامية فلا؛ لعدم الاعتداد بغير الدين الخاتم ديناً.

(١٩) الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ١٦: ٥٨٦.

(٢٠) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٢: ٢٣٠.

(٢١) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٢: ٧٢.



وقال الخازن: «وَمَسَاجِدُ يَعْنِي مَسَاجِدَ الْمُسْلِمِينَ ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ يعني: في المساجد»^(٢٢)، ويقول ابن عجيبة: «وَمَسَاجِدُ لِلْمُسْلِمِينَ، يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا؛ أَي: ذِكْرًا كَثِيرًا، أَوْ وَقْتًا كَثِيرًا، صِفَةُ مَادِحَةٍ لِلْمَسَاجِدِ، خُصَّتْ بِهَا دَلَالَةٌ عَلَى فَضْلِهَا وَفَضْلِ أَهْلِهَا. وَقِيلَ: يَرْجِعُ لِلْأَرْبَعِ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ فَإِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الصَّوَامِعِ وَالْبَيْعِ وَالْكُنَائِسِ قَدْ انْقَطَعَ بِظُهُورِ الْإِسْلَامِ، فَقَصَّدُ بَيَانَهُ - بَعْدَ نَسْخِ شَرَائِعِهَا - مِمَّا لَا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ، وَلَا تَرْتَضِيهِ الْأَفْهَامُ»^(٢٣).

ويقول نظام الدين النيسابوري: «وفي تخصيصها بقوله: ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ تشريفٌ لها وتفضيلٌ على غيرها؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَ عَوْدَ الضَّمِيرِ إِلَيْهَا فَقَطْ»^(٢٤)، ويقول الشيخ الصابوني: «وإنما خص المساجد بهذا الوصف ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ تعظيمًا لها وتشريفًا؛ لأنها أماكن العبادة الحقَّة».

بل إن ابن عاشور يرى أن السياق لـ«المساجد»، و«ذِكْرُ الصَّوَامِعِ وَالْبَيْعِ إِذْمَاجٌ؛ لِيَتَّبِعُوا إِلَى تَأْيِيدِ الْمُسْلِمِينَ، فَالْتَّعْرِيفُ فِي النَّاسِ تَعْرِيفُ الْعَهْدِ؛ أَي: النَّاسِ الَّذِينَ يَتَقَاتِلُونَ [زمن نزول الآية] وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ وَمُشْرِكُو أَهْلِ مَكَّةَ»^(٢٥).

(٢٢) علي بن محمد الخازن، «الباب التأويل في معاني التنزيل». تحقيق: محمد علي شاهين، (ط ١،

بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ)، ٣: ٢٥٩.

(٢٣) أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد»، تحقيق: أحمد

عبد الله القرشي رسلان، (د. ط، القاهرة: نشر الدكتور/ حسن عباس زكي، ١٤١٩هـ)، ٣: ٥٣٧.

(٢٤) الحسن بن محمد النيسابوري، «غرائب القرآن ورغائب الفرقان». تحقيق: الشيخ زكريا عميرات،

(ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ)، ٥: ٧٣، ٧٤.

(٢٥) محمد الطاهر بن عاشور، «التحرير والتنوير - تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من

تفسير الكتاب المجيد». (د. ط، تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤هـ)، ١٧: ٢٧٦.



ويدعم الإمام أبو زهرة تلك الوجهة بآية أفصح في القضية فيقول: «ووصف الله تعالى المساجد بأنها ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، كما قال في آية أخرى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]» (٢٦).

أقول: لذلك أُخِّرَ ذِكْرُ «المساجد»؛ فَأَلْحَقْتُ وحدها دون سوابقها من دور العبادة بالقيد، ولو قُدِّمَتِ «المساجد» إلى الصدارة - كما يقتضيه قدرها ورُتبتها - لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ النِّظْمُ عَلَى صُورَةٍ مِنْ اثْنَتَيْنِ:

- إِمَّا أَنْ يُقَدَّمَ الْقَيْدُ مَعَ «المساجد» فَيُقَالُ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ: لَهْدُمْتُ مَسَاجِدَ يَذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا، وَصَوَامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ. وَحِينَئِذٍ تُجَرَّدُ هَذِهِ الدُّوَرُ الْأَخِيرَةُ مِنْ هَذَا الْقَيْدِ الشَّرِيفِ تَجْرِيدًا فَصِيحًا صَرِيحًا - اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُكَرَّرَ الْقَيْدُ مَعَهَا فَيُحْصَلَ التَّرْهُلُ الْمُسْتَقْتَلُّ وَالتَّكَرُّارُ الْمُسْتَوْحَمُ - فَيُؤْذِنُ النِّظْمُ حِينَئِذٍ بِخَرَابِ تِلْكَ الدُّوَرِ أَوْ تَخْرِيبِهَا - وَكِلَاهُمَا غَيْرُ مَقْصُودٍ وَلَا مَطْلُوبٍ، بَلْ وَلَا مَسْمُوحٌ - مَهْمَا كَانَ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ - لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

- وَإِمَّا أَنْ يُؤَخَّرَ الْقَيْدُ لِيَنْدَرِجَ الْجَمِيعُ تَحْتَهُ - وَهُوَ مَقْصُودٌ مَطْلُوبٌ لِذِكْرِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ، فَيُقَالُ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: لَهْدُمْتُ مَسَاجِدَ وَصَوَامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا. وَبِذَلِكَ تُبْعَدُ «المساجد» عَنْ هَذَا الْقَيْدِ الشَّرِيفِ الَّذِي هِيَ بِهِ أَحَقُّ - كَمَا رَأَيْنَا - وَيَكُونُ الْقَيْدُ بِأَقْرَبِ مَذْكُورٍ إِلَيْهِ -

(٢٦) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد أبو زهرة، «زهرة التفاسير». (د.ط، دار الفكر العربي، د.



وهو غير «المساجد» - أخصّ، وهذا غير مقصود قطعاً؛ فثبت أن التركيب لا يكون دقيقاً مطابقاً للمعنى والغرض المقصودين بهذا الاعتبار إلا كما وردت عليه التلاوة الشريفة من تأخير «المساجد» - على أهميتها.

وستجد في كلتا صورتين أن الخطر المحذور المحذّر منه «لَهْدَمْتُ» مُتَّصِلٌ مباشرة بـ«المساجد»، مُسَلَّطٌ عليها صراحة، وذلك أيضاً مما قصد النظم الشريف تحاشيه - كما سنرى بعد إن شاء الله تعالى.

◆ ثالثاً: تأخير ذكر «المساجد» ترقياً من «شريف» إلى «أشرف»، ومن «فاضل» إلى «أفضل»:

رأى كثير من المفسرين أن من أهم أسرار تأخير «المساجد» - مع حقّها في التقديم - هو الترقّي من دور عبادة فاضلة أو شريفة - هي «صوامع وبيع وصلوات» - إلى دور عبادة أفضل أو أشرف؛ وهي «المساجد»، وهؤلاء متزنون؛ إذ يمدحون دور العبادة كلها بالفضل والشرف، ولا شك أنهم يقصدون ما طهر منها من شرك العبادة والعقيدة في زمان رسالاتها، ومنهم من سقط في مأخذ سيتجلّى في اللطيفة التالية، إن شاء الله تعالى.

لقد تحاشى أبو حيان مما وقع فيه غيره من الغصّ من دور العبادة الثلاثة المذكورة قبل الـ«مساجد» - وهي «صوامع، وبيع، وصلوات» - إذ صرح أبو حيان بأن الثلاثة شريفة، وأن الـ«مساجد» أشرف، فقال: «وَتَأْخِيرُ الْمَسَاجِدِ إِمَّا لِأَجْلِ قَدَمِ تِلْكَ وَحُدُوثِ هَذِهِ، وَإِمَّا لِإِنْتِقَالِ مِنْ شَرِيفٍ إِلَى أَشْرَفٍ» (٢٧). وقال البيضاوي بأن الوصف: ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ﴾ «صفة للأربع، أو

(٢٧) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، «البحر المحيط في التفسير». تحقيق:

صدقي محمد جميل، (ط. دار الفكر - بيروت ١٤٢٠هـ)، ٥١٨: ٧.



لـ (مساجد) خُصَّتْ بها تفضيلاً» (٢٨).

وإلى القول بذلك مآل صاحب تفسير «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»؛ إذ رأى القيد «صفة لمساجد خُصَّتْ بها تفضيلاً، وقيل: صفة للأربع» (٢٩)، ويقول صاحب «فتح البيان»: «وقدّمت الصوامع والبيع والصلوات على المساجد لكونها أقدم بناءً وأسبق وجوداً، أو ليكون فيه الانتقال من شريف إلى أشرف» (٣٠). وكذا يقول الشيخ طنطاوي: «وقدّم الصوامع والبيع والصلوات على المساجد، باعتبار أنها أقدم منها في الوجود، أو للانتقال من الشريف إلى الأشرف» (٣١).

◆ رابعاً: تأخير ذكر «المساجد» إقصاءً لها عن أجواء «التّهديم» المذكور قبل:

الحقيقة أنني انتبهت إلى هذه اللطيفة الثالثة الكامنة وراء تأخير ذكر «المساجد» -على شرافتها وجدارتها بالتقديم على ما ذكر قبلها من دور العبادة- وتلك اللطيفة هي إبعاد «المساجد» عن أجواء جواب الشرط «لهدّمت»، وإخراجها وإقصاؤها من تحت ظلاله، بل رأيت أن النظم الكريم عمل على الإغراء بتوقيف «المساجد»؛ فعمد إلى ربطها بالقيد السابق عليها مباشرة: ﴿يَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، وكأنه قصد

(٢٨) عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل». تحقيق: محمد عبد الرحمن

المرعشلي، (ط ١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ٤: ٧٣.

(٢٩) الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ٣: ٥٨.

(٣٠) محمد صديق خان البخاري القنوجي، «فتح البيان في مقاصد القرآن». عني بطبعه وقدّم له وراجعه

خادم العلم/ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (د. ط)، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر،

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ٩: ٥٩.

(٣١) محمد سيد طنطاوي، «التفسير الوسيط للقرآن الكريم». (ط ١)، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة

والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م)، ٩: ٣١٧.



إلى تأخير ذلك القيد الشريف حتى يلتحق بـ«المساجد»، وكأن من مهامه في ذلك الموضوع من التركيب شغل المتلقي عن ربط «المساجد» بظلال «التهديم»، وإن كان على الإجمال داخلاً كغيره من دور العبادة في جواب الشرط ﴿لَهَدِّمَتْ صَوَمَعُ وَيَعٌ...﴾ - كما مضى تفصيله.

بينما قدّم النظم الكريم دُورَ العبادة الأخرى فالحقها بجواب الشرط «لَهَدِّمَتْ»؛ وذلك ليصور واقع المسلمين إزاء مساجدهم، أو ليحمل الأمة على احترام «المساجد» وتوقيرها، ولينبه المسلمين إلى وجوب المحافظة عليها، ولزوم ذود كل صائل عنها من قبل أمة هي خير أمة أخرجت للناس، فلا تُهدَّم أبداً، ولا يُسمَح بتخريبها أو تعطيل العبادة فيها، بل يجب أن يكون ذلك غير متصوّر في دنيا الأمة، كما أنه غير واقع في النظم الكريم على وجه تسليط التهديم عليها صراحة ومباشرة.

أقول: حينما خطر لي ذلك الملمح بوضوح -وما يتصل به من خواطر- رجوت أن أجده عند علماء الأمة بتفاصيل أغزر وأدق؛ فطوّفتُ كثيراً بين المصادر والمراجع فلم أظفر ببغيتي كما أردت؛ لكنني وجدت ما يتصل به عند واحد من متقدمي المفسرين، في كلمة عابرة موجزة على عادته في الإيجاز الصريح، وهو الإمام النسفي، ثم نقلها عنه بإضافة واعية مفسّر متقدّم آخر هو الإمام القرطبي، ثم ردّد كلام النسفي دون تنبيه إلى المصدر ودون انتفاع بتعديل القرطبي مفسّر متأخر هو الإمام ابن عجيبة، رحمهم الله تعالى جميعاً.

يقول الإمام النسفي: «وقدّم غير المساجد عليها لتقدّمها وجوداً، أو لقربها من التهديم»^(٣٢)، وهنا تجد اهتمام النسفي بتقديم المقدّم لا بتأخير المؤخّر، وهنا

(٣٢) النسفي، «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، ٢: ٤٤٤.



المأخذ الذي نبّهت إليه سلفاً إجمالاً؛ ذلك أن النسفي ومن تابعه يصرّحون بأن لطيفة تقديم دور العبادة غير المساجد هي تقريبها إلى «التهديم»! ولا أظن ذلك مقصوداً؛ لأنها دور عبادة لمؤمنين سبقوا على شرائع إلهية أخرى، وإن كان مقصوداً فأنا أتحجّج من الإفصاح به ما لم يكن له شواهد تؤكده.

وممن ردّد كلام النسفي وأضاف إليه لطيفة قرب المساجد من الذكر الإمام القرطبي حيث يقول: «فإن قيل: لم قدّمت مساجد أهل الذمّة ومصلّيائهم على مساجد المسلمين؟ قيل: لأنّها أقدم بناءً. وقيل: لقربها من الهدم، وقرب المساجد من الذكر، كما أحرّ السابِق في قوله: ﴿فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٣]»^(٣٣). وردّد ابن عجيبة كلام النسفي فقال: «وقدّمت الثلاثة على المساجد لتقدمها وجوداً، أو لقربها من التهديم»^(٣٤).

وقد كان الأدق والأسلم أن ينظر أولئك الأعلام إلى إبعاد «المساجد» عن «التهديم» فقط، بغضّ النظر عن قرب دور العبادة الأخرى في التركيب منه. ولعلّ الإمام النسفي ومن ردّد ذلك بعده -رحمهم الله تعالى جميعاً- قد قصدوا إلى ذلك المعنى اللائق باختلّ التعبير عنه، أو لنقل: إنهم لم يتصوّروا أن يكون لـ«المساجد» تهديم؛ توقيراً وإجلالاً لبيوت الله تعالى في ظلال دين الإسلام الخاتم، وتحت رعاية خير أمة أخرجت للناس، والله أعلم.

◆ خامساً: تأخير «المساجد» ترقياً من الأقل عبادةً وزوّاراً إلى الأكثر:

رأى بعض متأخري المفسرين أن الغرض من تأخير ذكر «المساجد» هو الترقّي من

(٣٣) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٢: ٧٢.

(٣٤) ابن عجيبة، «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» ٣: ٥٣٧.



ذكر دور العبادة الأقل عبادًا ورؤادًا وعمارًا -وهي «صوامع وبيع وصلوات»- إلى دور العبادة الأكثر عبادًا ورؤادًا وعمارًا -وهي «المساجد»- وذلك الرأي يتسق تمام الاتساق مع تخصيص «المساجد» بهذا القيد اللاحق بها: ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

يقول المراغي: «أي: فليقاتل المؤمنون الكافرين، فلولا القتال وتسلط المؤمنين على المشركين في كل عصر وزمان لهدمت في شريعة كل نبي معابد أمته، فهدمت صوامع الرهبان، وبيع النصاري، وصلوات اليهود، ومساجد المسلمين التي يذكرون فيها اسم الله كثيرًا، وفي هذا ترقُّ وانتقال من الأقل إلى الأكثر حتى انتهى إلى المساجد وهي أكثر عمارًا وأكثر عبادًا، وهم ذوو القصد الصحيح»^(٣٥).
الكثرة -عند المراغي- ناظرة إذن إلى كثرة العباد، وسبق أنها عند غيره ناظرة إلى كثرة العبادة، وكثرة العبادة كناية عن كثرة العباد ومستلزمة إياها.

◆ سادسًا: تأخير «المساجد» لإعطاء معنى: «آخر الفكر أول العمل»:

انتبه الإمام الرازي **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** منتفعًا بثقافته الإسلامية وثقافته المنطقية الفلسفية إلى إمكان التماس تلك المسلمة من تأخير ذكر «المساجد» عن دور العبادة الأخرى؛ فقال: «قِيلَ: أَخْرَاهَا فِي الذِّكْرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ [فَاطِر: ٣٢]، وَلَإِنَّ أَوَّلَ الْفِكْرِ آخِرُ الْعَمَلِ، فَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ الرُّسُلِ وَأَمَّتُهُ خَيْرُ الْأُمَمِ، لَا جَرَمَ كَانُوا آخِرَهُمْ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ»^(٣٦).

(٣٥) أحمد بن مصطفى المراغي، «تفسير المراغي». (ط ١)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي

الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م)، ١٧: ١١٩.

(٣٦) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٢: ٢٣٠.



فالشيخ يرى - وهذه من فرائده التي تفرّد بها هنا - أن ورود النظم الكريم بتأخير ذكر «المساجد» كأنه يعطي لها مكانة الأساس المتين من بناء التوحيد الخالص لله ﷻ، وعبادته الصافية النقية من كل شوب... ويدعم الشيخ بشاهد معني - صريح في تأكيد فكرته - ذاك هو حديث الحبيب ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ»، أي: الآخرون من حيث الترتيب الزمني للأمم، السابقون من حيث التفوق العقدي والشرعي والأخروي من الظفر بالدرجات العلى من الرضوان والجنان.

وذلك على حذو «أَوَّل» في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأَنْعَام: ١٦٣]، قال صاحب المنار: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي عُلُوِّ الدَّرَجَةِ وَالرُّتْبَةِ... وَيَبَيِّنُ هَذَا أَنَّهُ ﷺ أَكْمَلُ الْمُذْعَنِينَ لِأَمْرِ رَبِّهِ وَنَهْيِهِ، بِحَسَبِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى الَّتِي فَضَّلَهُ بِهَا ﷺ عَلَى جَمِيعِ رُسُلِهِ... وَقَدْ يَسْتَلْزِمُ عُمُومُ بَعْثَتِهِ وَخَيْرِيَّةُ أُمَّتِهِ أَوَّلِيَّتَهُ ﷺ، وَأَوَّلِيَّتُهُ بِالتَّقَدُّمِ عَلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ بُعِثُوا قَبْلَهُ أَيُّضًا، فَيَكُونُ أَوَّلًا فِي كُلِّ مِنْ مَزَايَاهُ الْخَاصَّةِ وَرِسَالَتِهِ الْعَامَّةِ الْمُتَعَدِّيَةِ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ لـ «الْأَوَّلِ» مِمَّا فَتَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ الْآنَ، وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ» (٣٧).

وبعد، فأقول: إن العطف بين لطائف تأخير المساجد بـ «أو» عند أغلب المفسرين غير دقيق، ولا مكان له، بل الموضع لـ «الواو»؛ لأن الذكر الحكيم - كما رأينا - قد حَقَّقَ تلك الأغراض جميعاً طفرة واحدة؛ فحافظ على تَقَدُّمِ دُور العبادة تلك على «المساجد» زماناً، وحَقَّقَ بُعْدَ «المساجد» من التهديم، وألحق «المساجد» بوصف ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، وترقي من الشريف إلى

(٣٧) محمد رشيد رضا، «تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار». (د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م)، ٨: ٢١٦.



الأشرف والأفضل، وألمح إلى تأخر الأمة ومساجدها زماناً لتتقدم رتبة، وغير ذلك مما يعلمه الله تعالى ولا نعلمه. نعم، قد حافظ النظم الكريم عليها جميعاً دفعة واحدة، وحقق هذه الغزارة بتلك الدقة، وذلك من أبين وجوه إعجازه، والله تعالى أعلم.





المحور الثاني

مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ تَرْقِيًّا إِلَيْهِ عِبْرَ الْأَدْنَى مِنْهُ رُتَبَهُ

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝ تُوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۖ يُؤْذِنُ اللَّهُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝ جَاءَتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝﴾ [فاطر: ٣١-٣٣].

ذكر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أصناف المصطفين الذين أورثهم الكتاب من عباده، سواء كان «الكتاب هو الكتب التي أنزلها الله من قبل الفرقان. والمصطفون من عباده أمة محمد ﷺ»، والظالم لنفسه أهل الإجمام منهم... [أو كان] الكتاب الذي أورث هؤلاء القوم هو شهادة أن لا إله إلا الله، والمصطفون: هم أمة محمد ﷺ، والظالم لنفسه منهم هو المنافق وهو في النار، والمقتصد والسابق بالخيرات في الجنة» (٣٨).

وذكر الحق ﷻ أنهم ثلاثة أصناف: (ظالم لنفسه، مقتصد، سابق بالخيرات يؤذن الله)، «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ قَسَمَهُمْ وَرَتَّبَهُمْ، فَقَالَ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾. رَوَى عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ ۝ الْآيَةُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» (٣٩)،

(٣٨) الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ٢٠: ٤٦٥-٤٦٧.

(٣٩) الحسين بن مسعود البغوي، «معالم التنزيل في تفسير القرآن». تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان



«وقال ابن مسعود: هذه الأمة يوم القيامة أثلث: ثلث: يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث: يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث: يجيئون بذنوبٍ عظام

= جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، (ط ٤)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ٦: ٤٢٠، ٤٢١. وفي «مفاتيح الغيب»: «إِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ قَالَ فِي حَقِّ مَنْ ذَكَرَ فِي حَقِّهِ أَنَّهُ مِنْ عِبَادِهِ وَأَنَّهُ مُصْطَفَىٰ إِنَّهُ ظَالِمٌ؟ مَعَ أَنَّ الظَّالِمَ يَطْلُقُ عَلَى الْكَافِرِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ، فَنَقُولُ: الْمُؤْمِنُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ يَضَعُ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ حَالِ الْمَعْصِيَةِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الرَّأْيِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، وَيُصَحِّحُ هَذَا قَوْلُ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ»، وَقَالَ آدَمُ عليه السلام مَعَ كَوْنِهِ مُصْطَفَىٰ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَضَعُ قَلْبَهُ الَّذِي بِهِ اغْتِبَارُ الْجَسَدِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَهُوَ ظَالِمٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَمَّا قَلْبُ الْمُؤْمِنِ فَمُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ لَا يَضَعُهُ فِي غَيْرِ التَّفَكُّرِ فِي آلَاءِ اللَّهِ، وَلَا يَضَعُ فِيهِ غَيْرَ مَحَبَّةِ اللَّهِ. الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٦: ٢٣٩.

وفي «حاشية الكشف» يرد ابن المنير على الزمخشري بعض معتقده المعترلي فيقول: «قد صُدِّرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله، ثم قسمتهم إلى الظالم والمقتصد والسابق؛ ليلزم اندراج الظالم لنفسه من الموحدين في المصطفين، وإنه لمنهم، وأيُّ نعمة أتم وأعظم من اصطفاؤه للتوحيد والعقائد السالمة من البدع». أحمد بن محمد ابن المنير، «الانتصاف فيما تضمنه الكشف - حاشية على الكشف للزمخشري»، (ط ٣)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ٣: ٦١٣.

وفي «تفسير الثعلبي»: «عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الْآيَةَ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ»، قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ. أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، «الكشف والبيان عن تفسير القرآن». تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشر، (ط ١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، ٢٢: ٢٠٦.

وفي «تفسير البغوي»: «قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وَهُمْ: ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾، وَ﴿مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ وَهُمْ: ﴿أَصْحَابُ الْمِيمَنَةِ﴾، وَ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ هُمْ: ﴿السَّابِقُونَ﴾ ﴿الْمَقْرُونُونَ﴾ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ». البغوي، «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، ٦: ٤٢٢.



فيقول الله ﷻ: ما هؤلاء؟ - وهو أعلم بهم - فتقول الملائكة: هم مذنبون إلا أنهم لم يشركوا، فيقول ﷻ: أدخلوهم في سعة رحمتي» (٤٠).

ومعلوم أن أرقاهم طبقة إيمانية وأفضلهم عبودية هم السابقون إلى الخيرات بإذن الله؛ لأنهم هم المقربون المذكورون في أول سورة الواقعة؛ فـ«عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾» (٤١)؛ قال: هم أصحاب المشأمة، ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ قال: هم أصحاب الميمنة، ﴿وَمِنْهُمْ

(٤٠) عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، «الجواهر الحسان في تفسير القرآن». تحقيق: محمد علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ٤: ٣٩١، وفي الطبري عن قتادة: «كان الناس ثلاث منازل في الدنيا، وثلاث منازل عند الموت، وثلاث منازل في الآخرة؛ أما الدنيا فكانوا: مؤمن، ومنافق، ومشرک. وأما عند الموت فإن الله قال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ٥٥ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ ٥٦ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ٥٧ ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ٥٨ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ ٥٩ ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ٦٠ ﴿وَصَصِيلَةٌ جَعِيمٌ﴾، وأما في الآخرة فكانوا أزواجاً ثلاثة: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ٦١ ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ٦٢ ﴿وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ﴾ ٦٣ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٦٤. الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ٢٠: ٤٦٨.

(٤١) قال القرطبي: «وهذه الآية نظير قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧] الآية. قالوا: وبعيد أن يكون ميم يصفى ظالم. ورواه مجاهد عن ابن عباس؛ قال مجاهد: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾: ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخِطَايَةِ﴾: ﴿السَّيْفُونَ﴾ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ. وقيل: الضمير في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يعود على الثلاثة الأصناف، على ألا يكون الظالم هاهنا كافراً ولا فاسقاً. القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٤: ٣٤٦. وفي «الدر المنثور»: عن أمنا عائشة - رضي الله تعالى عنها -: «قالت: أم السَّابِقِ فقد مضى في حياة رسول الله ﷺ فشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أمرهم فعمل بمثل أعمالهم حتى يلحق بهم، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك ومن اتبعنا». عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، «الدر المنثور». (د.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت)، ٧: ٢٤.



سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ ﴿٤٢﴾ قال: هم السابقون من الناس كلهم» (٤٢).

وترى الذكر الحكيم قد أَّخَّرَ ذِكْرَ تلك الطبقة الأعلى - مع ما لها من فضل السبق المذكور نصًّا - لِيُحَقِّقَ بتأخير ذكرها أغراضًا، كما يحقق بتقديم ما قَدَّمَ عليها أغراضًا. وتوازن القرآن الكريم في مراعاة حال المؤخَّر وتحقيقه في تأخيرهِ أغراضًا؛ كمراعاته حال المقدَّم وتحقيقه بتقديمه أغراضًا، مما يُعَدُّ تَمِيزًا تَمِيزَ به الذكْرُ الحكيمُ، تَمِيزٌ يكشف عن براعة نظمه الباهر وسلطان أسره القاهر، وذلك ما لا تقع عليه في كلام الناس.

وقد التفت كثيرٌ من المفسرين إلى عظمة ذلك الترتيب الوارد عليه نظم الآية الكريمة، ومنهم - كعادة المفسرين في اختلاف الوجهات - مَنْ عُنِيَ بتقديم الظالم نفسه، ومنهم مَنْ عُنِيَ بتأخير السابق بالخيرات... ونوجز ما فتح الله ﷻ

(٤٢) الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ٢٠: ٤٦٧. وقال القشيري: «والأكثرون: أنَّ السابق هو الأفضل، وقالوا: التقديم في الذكر لا يقتضي التقديم في الرتبة، ولهذا نظائر كثيرة». عبد الكريم بن هوازن القشيري، «لطائف الإشارات». تحقيق: إبراهيم البسيوني، (ط ٣، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٣١هـ)، ٣: ٢٠٤.

وقال القرطبي: «وَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِي تَقْدِيمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمُقْتَصِدِ وَالسَّابِقِ، فَقِيلَ: التَّقديمُ فِي الذِّكْرِ لَا يَقْتَضِي تَشْرِيفًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠]». القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٤: ٣٤٩.

وقال ابن عطية: «العرب من عاداتها أن تقدّم الأقل [رتبة] والأردى [الأكثر تردّدًا]... ومنه قوله تعالى: ﴿فِيَنَّهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢] فبدأ في تقسيم أمة محمد ﷺ بالظالم». عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت).



به عليهم رَحْمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وما فتح به ﷻ على العبد الفقير فيما يلي:

أولاً: أنه قَدَّمَ «الظالم» وألحقه بالاصطفاء - قبله - لكيلا يَقْنَطَ، وآخر «السابق بالخيرات» وألحقه بالجنان - بعده - تكريماً له؛ جاء في «غرائب التفسير» أنه «قَدَّمَ الظالم كي لا يقنط، وآخر السابق ليكون أقرب إلى الجنان والثواب»^(٤٣)؛ أي في قوله تعالى بعده: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۖ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣]، وجاء في القرطبي: «قَدَّمَ الظَّالِمُ لِتَأْكِيدِ الرَّجَاءِ فِي حَقِّهِ، إذ ليس له شيءٌ يَتَّكِلُ عَلَيْهِ إِلَّا رَحْمَةُ رَبِّهِ، وَاتَّكَلَ الْمُقْتَصِدُ عَلَى حُسْنِ ظَنِّهِ، وَالسَّابِقُ عَلَى طَاعَتِهِ»^(٤٤).

ثانياً: أنه قَدَّمَ «الظالم» إغراءً له على التوبة والأوبة، وآخر «السابق بالخيرات» حراسةً له من العُجب بالعمل؛ جاء في «تفسير القرطبي»: «وَقِيلَ: قَدَّمَ الظَّالِمَ لِئَلَّا يَأْسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَآخَرَ السَّابِقِ لِئَلَّا يُعْجَبَ بِعَمَلِهِ»^(٤٥)، وهذا وإن كان له وجهٌ لكن سياق التبشير بالاصطفاء يُبعده، ثم إن السابق بالخيرات بإذن الله ﷻ أبعاد الخلق عن العجب بعمله، والله تعالى أعلم.

ثالثاً: أنه قَدَّمَ «الظالم» لتمحيض اصطفائه لرحمة الله ﷻ، وآخر «السابق بالخيرات» تحذيراً من أن يأمن مكر الله ﷻ، قال صاحب «الكشف والبيان»: «قَالَ

(٤٣) محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، «غرائب التفسير وعجائب التأويل». (د.ط، جدة: دار القبلة

للتقافة الإسلامية - بيروت: مؤسسة علوم القرآن، د. ت)، ٢: ٩٥٠.

(٤٤) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٤: ٣٤٩.

(٤٥) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٤: ٣٤٩.



جَعَفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الصَّادِقُ عليه السلام: قُدِّمَ الظَّالِمُ لِيُخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ إِلَّا بِصَرْفِ رَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ، وَأَنَّ الظُّلْمَ لَا يُؤَثِّرُ فِي الاِصْطِفَائِيَّةِ إِذَا كَانَتْ ثُمَّ عِنَايَةً، ثُمَّ ثَنًى بِالْمُقْتَصِدِينَ لِأَنَّهُمْ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، ثُمَّ خَتَمَ بِالسَّابِقِينَ لِنَلَا يَأْمَنَ أَحَدٌ مَكْرَ اللَّهِ، وَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ بِحُرْمَةِ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) ^(٤٦)، وهو قريب مما قبله.

رابعاً: أنه قدَّم «الظالم» وألحقه المقتصد، وأخر «السابق بالخيرات» مراعاة لتغاير أحوال العباد، قال عبد الكريم الخطيب: «وقيل: إن هذا الترتيب منظور فيه إلى الأحوال التي تعترى الناس في هذا المقام، وهي ثلاث: معصية، ثم توبة، ثم قُرْبَةٌ. فإذا عصى العبدُ فهو ظالم، فإذا تاب فهو مقتصد، فإذا صَحَّتْ توبته وكثرت مجاهدته فهو سابق» ^(٤٧)، وهذا ناظر إلى تسلسل المراحل التي يعيشها العبد غالباً؛ إذ يبدأ العبد حياته يافِعاً غافلاً ظالماً لنفسه، ثم يُبَلِّغُهُ اللَّهُ تعالى الرُّشْدَ، ثم يُخَلِّصُهُ إِلَيْهِ - يُهَيِّئُهُ لِلِقَائِهِ وَجَنَانِهِ ...

وتلك المراحل الواردة في ترتيب الآية الكريمة تُلَمِّحُ إلى «أن أحوال العباد ثلاثة» ^(٤٨): معصية وغفلة، ثم توبة، ثم قُرْبَةٌ. فإذا عصى الرجلُ دخل في حيزٍ

(٤٦) الثعلبي، «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» ٨: ١٠٧.

(٤٧) الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ١١: ٨٨٩.

(٤٨) «قال ابن عطاء: الظالم الذي يحبه من أجل الدنيا، والمقتصد الذي يحبه من أجل العقبي، والسابق الذي أسقط مراده بمراد الحق فيه، فلا يرى لنفسه طلباً ولا مراداً لغلبة سلطان الحق عليه، وقيل: الظالم: مَنْ كَانَ ظَاهِرُهُ خَيْرًا مِنْ بَاطِنِهِ، وَالْمُقْتَصِدُ: الَّذِي اسْتَوَى ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ، وَالسَّابِقُ الَّذِي بَاطِنُهُ خَيْرٌ مِنْ ظَاهِرِهِ، وَقِيلَ: الظالم: الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ خَوْفًا مِنَ النَّارِ، وَالْمُقْتَصِدُ: الَّذِي يَعْبُدُهُ طَمَعًا فِي الْجَنَّةِ، وَالسَّابِقُ الَّذِي يَعْبُدُهُ لَا بِسَبَبٍ، وَقِيلَ: الظالم: الزاهد، والمقتصد: العارف،



الظالمين، فإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، فإذا صحّت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عداد السابقين» (٤٩)، والله تعالى أعلم.

خامساً: أنه قدّم «الظالم» لكثرة بين الناس، وأخر «السابق بالخيرات» لقلته بين الناس، قال الزمخشري: «فإن قلت: لم قدّم الظالم؟ ثم المقتصد ثم السابق؟

= والسابق: المحب، وقيل: الظالم: الذي يجزع عند البلاء، والمقتصد: الذي يصبر على البلاء، والسابق: الذي يتلذذ بالبلاء، وقيل: الظالم: الذي يعبد على الغفلة والعادة، والمقتصد: الذي يعبد على الرغبة والرغبة، والسابق: الذي يعبد على الهيبة ورؤية المنّة، وقيل: الظالم: الذي أُعطي فمنع، والمقتصد: الذي أُعطي فبذل، والسابق: الذي مُنِع فشكر، وقيل: الظالم غافل، والمقتصد طالب، والسابق واجد، وقيل: الظالم: مَنْ استغنى مسألة، والمقتصد: مَنْ استغنى بدينه، والسابق: مَنْ استغنى بربه، وقيل: الظالم: التالي للقرآن، والمقتصد: القارئ له، العالم به، والسابق: القارئ لكتاب الله، العالم بكتاب الله العامل به، وقيل: السابق: الذي يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن، والمقتصد: الذي يدخل المسجد وقد أذن، والظالم: الذي يأتي المسجد وقد أُقيم، وقيل: الظالم: الذي يحب نفسه، والمقتصد: الذي يحب ربه، والسابق: الذي يحبه ربه، وقيل: الظالم مريد، والمقتصد مراد، والسابق مطلوب. وقيل: الظالم مدعو، والمقتصد مأذون له، والسابق مقرب، وقيل: الظالم عيوف، والمقتصد ألوف، والسابق حليف. وقيل: الظالم ينتصف ولا يُنتصف، والمقتصد ينتصف وينتصف، والسابق يُنتصف ولا ينتصف، وقيل: الظالم الذي يذكر الله بلسانه، والمقتصد الذي يذكره بقلبه، والسابق الذي لا ينسى ربه، وقيل: الظالم صاحب الأقوال، والمقتصد صاحب الأفعال، والسابق صاحب الأحوال، ثم جمعهم ﷺ في دخول الجنة». الثعلبي، «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، ٢٢: ٢٠١.

أقول: وعلى الجملة -وبناء على تعدّد الآراء السابقة-: يمكن تصنيف الناس باعتبار كلّ سلوكٍ وكل تصرّفٍ -من قولٍ، أو فعلٍ، أو اعتقادٍ- إلى ثلاث طبقات من ظلم النفس، والاقتصاد، والسبق إلى الخيرات، والله تعالى أعلم.

(٤٩) الخازن، «اللباب التأويل في معاني التنزيل»، ٣: ٤٥٧.



قلت: للإيدان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل»^(٥٠)، وقال الخازن: «وقيل: قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته، ثم المقتصد قليل بالإضافة إلى الظالمين، والسابق أقل من القليل؛ فلهذا أخرهم»^(٥١)، ولم يذهب إلى هذا القول غير الزمخشري - فيما وقفت عليه - وهو عندي لا يُرجح تقديم الظالم على المقتصد والسابق؛ لأنه لا اعتبار للكثرة في ميزان الحق، ولا تقف عند مثله بلاغة الذكر الحكيم، والله تعالى أعلم.

سادساً: أنه قدّم «الظالم» إشارة إلى كرمه ﷺ بإدخال الظالم - من هذه الأمة - في المصطفين، وأخر «السابق بالخيرات» لئلا يغتر برتبته، «قال جعفر الصادق: بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه، وأن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء، ثم ثنى بالمقتصدين؛ لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين؛ لئلا يأمن أحدٌ مكره ﷺ»^(٥٢)، والله تعالى أعلم.

ويدعم هذا الغرض لتأخير السابق بالخيرات من نظم الآية الشريفة، أن الذكر الحكيم أخره ليتصل مباشرة بالقيّد بعده: «بِإِذْنِ اللَّهِ»؛ لأن اتصاله به ينهض بحراسة السابق بالخيرات من الاعتزاز بالعمل، ويدعوه إلى الرجوع بالفضل إلى الله ﷻ، وكبح النفس إن شمخت؛ إذ كان التوفيق من الله ﷻ مُعينه، ولولاه لما سبق، والله تعالى أعلم. وفرق بين العُجب بالعمل - وقد استبعدته عن السابق بالخيرات في

(٥٠) محمود بن عمرو الزمخشري، «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». (ط ٣، بيروت: دار الكتاب

العربي، ١٤٠٧هـ)، ٣: ٦١٣.

(٥١) الخازن، «اللباب التأويل في معاني التنزيل»، ٣: ٤٥٧.

(٥٢) الخازن، «اللباب التأويل في معاني التنزيل»، ٣: ٤٥٧.



البند ثانياً أعلاه- وبين الاغترار برحمة الله ﷻ، وارتضيته لدقته والتباسه على العبد وعدم تمايزه فيجتنب، ويحرسُ السابق بالخيرات منه -أي من الاغترار- تأخيرُه واتصاله بالقيد «بِإِذْنِ اللَّهِ» بعده، والله تعالى أعلم.



المحور الثالث

مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ عَطْفًا عَلَى غَيْرِهِ إِجْمَالًا؛ لِتَقْدِيمِهِ مَعَ مُتَعَلِّقَاتِهِ الشَّرِيفَةِ تَفْصِيلًا

يقول الله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۖ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۚ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ فَأَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ ۚ وَأَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ ۚ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۚ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ۚ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقِيلَ مَنْ الْآخِرِينَ ۚ﴾ [الواقعة: ١-١٤].

عَرَضْتُ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي أَوَّلِهَا لِأَصْنَافِ النَّاسِ عِنْدَ الْبَعْثِ، ثُمَّ عَرَضْتُ فِي آخِرِهَا لِأَصْنَافِهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ، يَقُولُ صَاحِبُ «مَعَارِجِ الْقَبُولِ» بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَّمَ النَّاسَ «عِنْدَ الْبَعْثِ»: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ فَأَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ ۚ وَأَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ ۚ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۚ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ [الوَاقِعَةُ: ٧-١١]... وَقَسَّمَهُمْ عِنْدَ الْإِخْتِصَارِ كَذَلِكَ فَقَالَ ﷺ: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۚ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ۚ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۚ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۚ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الصَّالِينَ ۚ فَزُلٌّ مِنْ حَمِيمٍ ۚ وَصَلِيلَةٌ جَحِيمٌ ۚ﴾ [الوَاقِعَةُ: ٨٨-٩٤] (٥٣).

ومن اللافت -في أول السورة الكريمة- سَوْقُ الْحَدِيثِ عَنْ أَوَّلِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ

(٥٣) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول».

تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، (ط١، الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، ٣: ١٠٠.



بالتقديم - وهم السابقون المقربون - مؤخرًا، فقال تعالى: ﴿فَأَصْحَبُ الْمُيْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمُشْئَمَةِ ۚ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾، وقد شغل كثير من المفسرين بيان اللطائف الكامنة وراء تقديم المقدم منها، بينما عني آخرون بالبحث عن لطائف تأخير المؤخر الذي يقتضي الظاهر تقديمه - وهو موضوع بحثنا هنا - وقد تتبعنا هذا وذاك في مظانهم من مصنفاتهم، وأسفر البحث عما يلي:

♦ من لطائف تأخير ذكر «السابقون» :

أولاً: أنه أخر إجمالاً ليتصل بما يخصه تفصيلاً:

وكان هذا ملفت نظري - بحمد الله تعالى - قبل أن أقف على كلام من قال به من العلماء؛ لأنَّ السورة الكريمة بُدئت بذكر أصناف الناس يوم القيامة إجمالاً: ﴿فَأَصْحَبُ الْمُيْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمُيْمَنَةِ ۚ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾، ثم أتبعته السورة الكريمة بتفصيل ما يتعلق بكل من هذه الأصناف الثلاثة في حوالي عشرين سطرًا... وألحق بأرقى صنف منها تفاصيله مباشرة، فقال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۚ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ إلى آخر ما يتعلق بالسابقين، قال الإمام الشوكاني: «ووجه تأخير هذا الصنف الثالث - مع كونه أشرف من الصنفين الأولين - هو أن يقترب به ما بعده، وهو قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾» (٥٤).

يقول ابن عاشور: «وجملته أولئك المقربون في جنات النعيم، مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأنها جواب عما يثيره قوله: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ من تساؤل السامع عن

(٥٤) محمد بن علي الشوكاني، «فتح القدير». (ط ١)، دمشق - بيروت: دار ابن كثير - دار الكلم الطيب،



أَثَرِ التَّنْوِيهِ بِهِمْ. وَبِذَلِكَ كَانَ هَذَا ابْتِدَاءً تَفْصِيلٍ لَجَزَاءِ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ عَلَى طَرِيقَةِ النُّشْرِ بَعْدَ اللَّفِّ، نَشْرًا مُشَوِّشًا -أَي: غير مرتَّب- تَشْوِيشًا اقْتَضَتْهُ مُنَاسَبَةُ اتِّصَالِ الْمَعَانِي بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ صِنْفٍ أَقْرَبَ ذِكْرًا، ثُمَّ مُرَاعَاةُ الْأَهَمِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الصَّنْفَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ، فَكَانَ بَعْضُ الْكَلَامِ آخِذَا بِحُجْزِ بَعْضٍ^(٥٥). وجاء في «التفسير الوسيط»: «ولعلَّ تأخير ذكرهم مع أنهم أسبقُ الأصناف وأقدمهم في الفضل ليُرَدِّفَ ذِكْرَهُمْ ببيان محاسن أحوالهم»^(٥٦).

ثانيًا: أنه أخر تشويقًا إلى ذكره:

يقول العلامة ابن عاشور: «وَأَخَّرَ السَّابِقُونَ فِي الذِّكْرِ عَنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ لِتَشْوِيقِ السَّامِعِينَ إِلَى مَعْرِفَةِ صِنْفِهِمْ - بَعْدَ أَنْ ذُكِرَ الصَّنْفَانِ الْآخَرَانِ مِنَ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ - تَرْغِيًّا فِي الْإِقْتِدَاءِ»^(٥٧). ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: «وَأَخَّرَهُمْ - سَبْحَانَهُ - عَنْ أَصْحَابِ الْمِيْمَةِ وَأَصْحَابِ الْمَشَآمَةِ؛ لِتَشْوِيقِ السَّامِعِ إِلَى مَعْرِفَةِ أحوالهم، وبيان ما أعدَّ لهم من ثوابٍ عظيمٍ فصله بعد ذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٥٨) فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١١﴾».

ثالثًا: أنه أخر إقصاء له عما لا يليق به من التلويح بالتهديد:

يقول الفخر الرازي -وهو من فرائده-: «ذِكْرُ الْوَاقِعَةِ وَمَا يَكُونُ عِنْدَ وَقُوعِهَا مِنَ الْأُمُورِ الْهَائِلَةِ، إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَكْفُهُ مَا نَعَا

(٥٥) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٨٨.

(٥٦) مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، «التفسير الوسيط للقرآن الكريم».

(ط)، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ٩: ١٢٣٩.

(٥٧) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٧: ٢٨٨.

(٥٨) طنطاوي، «التفسير الوسيط»، ١٤: ١٦١.



عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَأَمَّا الَّذِينَ سِرُّهُمْ مَشْغُولٌ بِهِمْ - يقصد السابقين - فلا يُجْزَوْنَ بِالْعَذَابِ» (٥٩).

رابعاً: أنه أَوْخَرُ تَدْرِجاً وَتَرْقِياً إِلَيْهِ بَعْدَ مَا سَبَقَهُ ذِكْرُهُ:

يقول الفخر الرازي: «قَدَّمَ سُبْحَانَهُ أَصْحَابَ الْيَمِينِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَيَرْغَبُونَ، ثُمَّ ذَكَرَ السَّابِقِينَ؛ لِيَجْتَهِدَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ، وَيَقْرُبُوا مِنْ دَرَجَتِهِمْ؛ وَإِنْ كَانَ لَا يَنَالُهَا أَحَدٌ إِلَّا بِجَذْبٍ [وتوفيقٍ مِنَ اللَّهِ] فَإِنَّ السَّابِقَ يَنَالُهُ مَا يَنَالُهُ بِجَذْبٍ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الرَّحْمَنِ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةٍ سَبْعِينَ سَنَةً» (٦٠).

◆ **من لطائف تقديم ذكر «أصحاب اليمين» وأصحاب المشأمة على «السابقين»:**

أولاً: أن الترهيب من وقوع الواقعة يقتضي تقديم الترهيب لمن هم دون السابقين:

يقول الفخر الرازي في تفسير هذا الموضع: «وَفِيهِ مَسَائِلٌ... الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: مَا الْحِكْمَةُ فِي الْإِبْتِدَاءِ بِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَالْإِنْتِقَالِ إِلَى أَصْحَابِ الشِّمَالِ، ثُمَّ إِلَى السَّابِقِينَ؛ مَعَ أَنَّهُ فِي الْبَيَانِ بَيْنَ حَالِ السَّابِقِينَ، ثُمَّ أَصْحَابِ الشِّمَالِ عَلَى التَّرْتِيبِ؟ وَالْجَوَابُ أَنَّ نَقُولَ: ... لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ * وكان فيه من التخويف ما لا يخفى، وَكَانَ التَّخْوِيفُ بِالَّذِينَ يَرْغَبُونَ وَيَرْهَبُونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ أَوْلَى - ذَكَرَ مَا ذَكَرَهُ لِقَطْعِ الْعُذْرِ لَا نَفْعَ الْخَبَرِ، وَأَمَّا السَّابِقُونَ فَهُمْ غَيْرُ مُحْتَاجِينَ إِلَى تَرْغِيبٍ أَوْ تَرْهيبٍ» (٦١).

(٥٩) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٩: ٣٨٨.

(٦٠) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٩: ٣٨٨.

(٦١) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٩: ٣٨٨.

ثانياً: الترتيبي من ذكر أصحاب اليمين إلى ذكر السابقين:

قال صاحب «تفسير حدائق الرُّوح والريحان»: «قَدَّمَ أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا، ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا، ثم ذكر السابقين - وهم الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر - ليجتهد أصحاب اليمين في القرب من درجتهم، ثم أثنى على السابقين فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾» (٦٢).

ثالثاً: أن أصحاب اليمين - وكذلك أصحاب الشمال - أكثر عددًا من السابقين:

يقول ابن عرفة: «وتقديم أصحاب الميمنة على قِسم «السابقين» باعتبار الكثرة؛ إما في نفس الأمر، أو في الخطاب؛ لأن المخاطبين بالآية أصحاب الميمنة منهم أكثر من السابقين، وتقديمهم على أصحاب المشأمة بالشرف، وتقديم أصحاب المشأمة على السابقين بالكثرة، كما قدموا في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾» (٦٣).

رابعاً: البدء بالترغيب والترهيب بعد التخويف بالواقعة:

قال صاحب «التفسير المنير»: «وَابْتَدَأَ بأهل اليمين ثم بأهل الشمال للترغيب بالثواب والترهيب بالعقاب، بعد التخويف من الواقعة» (٦٤). والله تعالى أعلى وأعلم.

(٦٢) محمد الأمين بن عبد الله الهروي، «تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن».

مراجعة الدكتور/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، (ط١)، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، ٢٨: ٣٤٩.

(٦٣) محمد بن محمد بن عرفة، «تفسير ابن عرفة». تحقيق: جلال الأسيوطي، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م)، ٤: ١٣٦.

(٦٤) وهبة الزحيلي، «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج». (ط١)، دمشق: دار الفكر - بيروت:

دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ٢٧: ٢٤٣.



المحور الرابع

مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ إِبْعَادًا لَهُ عَنْ سَاحَةِ مَعْنَى لَا يَلِيقُ بِهِ

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزدادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

في هذه الآية الكريمة يُخبر الله ﷻ أنه جعل عِدَّةَ أصحاب النار - أي عدد خزانة النار - وهم الملائكة المذكور في قوله ﷻ قُبِيلَهَا مباشرة: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٦٥) [المدثر: ٣٠] - أو جعل «قِلَّتَهُمْ...» حين قال أبو الأشدين وأبو جهل ما قالاً^(٦٦) - جعله سبباً لـ «افْتِتَانِ الْكُفَّارِ بِعَدَدِ الزَّبَانِيَةِ [وجعل ذلك] سَبَبًا لِهَذِهِ

(٦٥) قال القرطبي: «قُلْتُ: وَالصَّحِيحُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَنَّ هَؤُلَاءِ التَّسْعَةَ عَشَرَ، هُمُ الرُّؤَسَاءُ وَالنُّقَبَاءُ، وَأَمَّا جُمْلَتُهُمْ فَالْعِبَارَةُ تَعَجُّرُ عَنْهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا». القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ١٩: ٨٠.

(٦٦) «قال أبو جهل ابن هشام: يا معشر قريش، ما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر، ويزعم أنهم خزنة جهنم يخوفكم بتسعة عشر وأنتم أدهم، أيعجز كل مائة منكم أن تبطش بواحد منهم فيخرجوا منها؟ وقال أبو الأشدين - اسمه أسيد بن كلداء بن خلف الجمحي - : أنا أكفيكم سبعة عشر، أحمل منهم عشرة على ظهري، وسبعة على صدري، واكفوني منهم اثنين - وكان شديداً؛ فسمي أبا الأشدين لشدة». مقاتل بن سليمان، «تفسير مقاتل بن سليمان». تحقيق: عبد الله محمود شحاته،



الأُمُورِ الْأَرْبَعَةَ» (٦٧) المذكورة بعده في الآية الكريمة؛ أي: «وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَإِلَّا لِيَسْتَيِّقَنَ» (٦٨) الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...» (٦٩)، «أي: ما ذكر الله عدة هؤلاء الجُند، وحصرهم في تسعة عشر، دون أن يبلغوا العشرين، مثلاً؛ ليكونوا عدداً كاملاً - ما ذكرهم الله، وحصر عددهم في هذا العدد، إلا ليمتحن بذلك إيمان المؤمنين، وضلال الضالين، وقد كشف هذا الامتحان عن فتنة المشركين الذين اتخذوا من هذا العدد سبيلاً إلى التفكُّه، والتندر، والاستهزاء» (٧٠).

ويصرِّح تقديمُ استيقانِ (٧١) «الذين أُوتوا الكتاب» بأنهم ما زالوا في مرحلة

(د. ط، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ)، ٤: ٤٩٧. وقال الخطيب: «إن هؤلاء التسعة عشر ليسوا مجرد عدد، وإنما هم ملائكة... وإنهم ليعرفون الملائكة، ويتخذون منهم أرباباً يعبدونهم من دون الله... فهل لهم بهذا الجند من جند الله يدان؟». الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ١٥: ١٢٩٦. وقال الزمخشري: «جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقّة، ولا يستروحون إليهم، ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له، فتؤمّن هوداتهم، ولأنهم أشد الخلق بأساً وأقواهم بطشاً. عن عمرو بن دينار: واحد منهم يدفع بالدفع الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر. وعن النبي ﷺ: «كأن أعينهم البرق، وكأن أفواههم الصياصي، يجرون أشعارهم، لأحدهم مثل قوة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم في النار ويرمى بالجبل عليهم»». الزمخشري، «الكشاف»، ٤: ٦٥١.

(٦٧) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٣٠: ٧١١.

(٦٨) مفعول الفعل «يستيقن» محذوف، والتقدير: «ليستيقن أهل التوراة والإنجيل حقيقة ما في كتبهم من الخبر عن عدّة خزنة جهنم، إذ وافق ذلك ما أنزل الله في كتابه على محمد ﷺ». الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ٢٤: ٢٩.

(٦٩) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٣٠: ٧١١.

(٧٠) الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ١٥: ١٢٩٦.

(٧١) قال الخطيب: «وقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيِّقَنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ إشارة إلى أن أهل



الشك والتردد والرّيبة في التصديق بنبوة النبي ﷺ؛ فاحتاجوا إلى تحقيق الاستيقان، وأن الأمر لديهم ما زال غير يقينيٍّ؛ فإذا جاءهم الرسول ﷺ بما يوافق ما في كتبهم أيقنوا. كما يصريح تأخير ازدياد «الذين آمنوا» إيماناً بأنهم قد تجاوزوا مرحلة الاستيقان تلك إلى مرحلة الازدياد إيماناً إلى إيمانهم الراسخ فعلاً.

وهكذا تتدرج الآية الكريمة من ذكر الكفار المفتونين الهالكين، إلى ذكر «الذين أوتوا الكتاب» المترددين المرتابين، إلى ذكر «الذين آمنوا» الموقنين الراسخين، ولذلك قال في «روح المعاني»: «والتعبير عن المؤمنين باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازديادهم ورسوخهم في ذلك» (٧٢).

قال صاحب «التفسير القرآني للقرآن»: «وفي التعبير بالاستيقان في جانب أهل الكتاب، وبازدياد الإيمان في جانب المؤمنين، مراعاة لمقتضى الحال في كلٍّ من الفريقين: فأهل الكتاب -والمقصود به من أهل الكتاب هنا هم أولو العلم منهم، الذين سلموا من الهوى المضل الذي أفسد على كثير من علمائهم دينهم- فأهل الكتاب هؤلاء، يبعث فيهم هذا الخبر الجديد الذي جاء به القرآن يقيناً بأن ما يتلقاه محمد هو وحي من عند الله، هذا إلى ما كان عندهم من علم بهذا النبي المبشّر به في كتبهم، والمبيّنة صفاته فيها.

= الكتاب قد وجدوا أن ما أخبر به القرآن عن عدة أصحاب النار من الملائكة، مطابق لما عندهم من كتب الله... كما أن المؤمنين سيزدادون إيماناً بما جاءهم من عند الله مصداقاً لما في الكتب السابقة». الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ١٥: ١٢٩٦.

(٧٢) محمود بن عبد الله الألوسي، «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». تحقيق: علي عبد الباري عطية، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ)، ١٥: ١٤١.



وأما المؤمنون فهم مؤمنون بصدق الرسول من قبل نزول هذه الآيات ومن بعد نزولها... ولكنهم يزدادون إيماناً كلما تلقوا من آيات الله جديداً يثبت إيمانهم، ويزيدهم قوة استبصار لمعالم الحق... وهؤلاء المؤمنون هم الذين آمنوا إيماناً خالصاً من شوائب الشك والارتياب»^(٧٣).

ويقرر الذكر الحكيم ذلك من خلال تكرار الفكرة بنفي الريبة عن كلا الفريقين بعد ذلك مباشرة في الآية نفسها؛ إذ يؤخر نفي الريبة عن «الذين آمنوا» عن نفيها عن «الذين أوتوا الكتاب»، فيبعد «الذين آمنوا» عن ساحة الشك والارتياب، ويجعل «الذين أوتوا الكتاب» أقرب إليه وأخص به - لو كان - ويجعل «الذين أوتوا الكتاب» حاجزاً بين المؤمنين وبين الريبة... فالمؤمنون إذن لم يتعلّقوا بالريبة إذ لم يتصلّوا بذكرها، و«الْمَقْصُودُ مِنْ إِعَادَةِ هَذَا الْكَلَامِ هُوَ أَنَّهُ حَصَلَ لَهُمْ يَقِينٌ جَازِمٌ، بِحَيْثُ لَا يَحْصُلُ عَقِيْبُهُ أَلْبَتَّةُ شَكٍّ وَلَا رَيْبٌ»^(٧٤)، و«لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان أكد وأبلغ لو صفهم بسكون النفس وثلج الصدر، ولأن فيه تعريضاً بحال من عداهم»^(٧٥)، والله تعالى أعلم.

جاء - إذن - ذكر «الذين آمنوا» مؤخراً مع تقدّم رُتبهم عن ذكر «الذين أوتوا الكتاب»؛ إبعاداً للمؤمنين عمّا لا يليق برُتبهم من ريبة، وإن كان منفيّاً: «ولا يرتاب...» وإن كانوا - إلى ذلك - معطوفين على غيرهم، وبذلك يفصل الذكر الحكيم بين «الذين آمنوا» وبين الريبة بفواصلين جليّين لافتين: نفي الريب، و«الذين

(٧٣) الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ١٥: ١٢٩٧.

(٧٤) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٣٠: ٧١٢.

(٧٥) الزمخشري، «الكشاف»، ٤: ٦٥٢.



أوتوا الكتاب»، فبذلك لمحة إبعاد المؤمنين عن ساحة الارتباب الذي لا يليق برتبهم، والله تعالى أعلم.

قال الألوسي: «وإنما لم يُنظَّم المؤمنون في سلك أهل الكتاب في نفي الارتباب حيث لم يقل: ولا يرتابوا؛ للتنبيه على تباين النفيين حالاً؛ فإن انتفاء الارتباب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود، ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمان، وكم بينهما» (٧٦).

وهذا الملمح قائم وإن ذهب بعضهم إلى أن «الذين أوتوا الكتاب هنا، هم مطلق اليهود والنصارى، وليس الذين ذكروا من قبل، والذين هم خاصّة علماء أهل الكتاب... وكذلك المؤمنون هنا، هم الذين لم يقع الإيمان بعد موقعاً متمكناً من قلوبهم... فهؤلاء وأولئك ليس من شأنهم أن يرتابوا بعد هذا الذي جاء في آيات الله من أنباء الغيب عن عدة أصحاب النار، بعد أن تطابق هذا مع ما في التوراة» (٧٧).

فتكون طبقة العوام الذين ينتفي عنهم الريب من المؤمنين أعلى رتبة من طبقة العوام الذين ينتفي عنهم الريب من أهل الكتاب الذين ألحقوا به مباشرة، والله تعالى أعلم.



(٧٦) الألوسي، «روح المعاني»، ١٥: ١٤١.

(٧٧) الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ١٥: ١٢٩٧.



المبحث الثاني

مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ

لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ فِي مَقَامِ الزَّجْرِ وَالْوَعِيدِ

♦ وتحتة ثلاثة محاور:

المحور الأول: مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ تَحْقِيقًا لِلْقَضِيَّةِ، وَمُرَاعَاةً لِتَرْتِيبِ الْأَحْدَاثِ لَفًّا وَنَشْرًا.

المحور الثاني: مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ فِي مَقَامِ ذِكْرِ الْعَذَابِ لِتَوْسِيطِهِ بَيْنَ جَنَاحِي طُغْيَانِهِ إِمْعَانًا فِي إِذْلَالِهِ بِهِمَا.

المحور الثالث: مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ إِنْصَافًا لِلْمُقَدَّمِ، شِمْلَهُ الْمُؤَخَّرَ أَوْ لَمْ يَشْمَلْهُ.





المحور الأول

مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ تَحْقِيقًا لِلْقَضِيَّةِ، وَمُرَاعَاةً لِتَرْتِيبِ الْأَحْدَاثِ لَفًا وَنَشْرًا

يقول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[المائدة: ٣٨ - ٤١].

جاءت الشريعة الغراء بتقديم ذكر الرحمة الربانية على ذكر العذاب، وورد ذلك في أغلب النصوص الشريفة - قرآنية ونبوية - وصرح الحديث القدسي به فيما يرويه الرسول ﷺ عن ربه ﷻ، قال الله ﷻ: «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» (٧٨).

غير أن هذه الآية الكريمة خالفت ذلك النسق، فأخرت ذكر الرحمة وقدمت ذكر العذاب: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وقد شغل جل العلماء بالبحث عن وجوه تقديم ذكر العذاب على ذكر الرحمة، ونوجز ما تمخضت عنه جهودهم في أن سبب تقديم العذاب:

«أن القصد - بما تقدم - الردع عن ارتكاب ما يقتضي عقوبة الدارين، فكان

(٧٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي». مسلم بن الحجاج، «صحيح مسلم». تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م)، كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، برقم ٢٧٥١، ٤: ٢١٠٨.



تقديم ما يقتضي ذلك أولى^(٧٩).

«أن السياق للوعيد؛ فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر»^(٨٠).

«أنه [أي العذاب المقدم] في مُقَابَلَةٍ تَقَدِّمُ السَّرِقَةَ عَلَى التَّوْبَةِ»^(٨١). أي أن في الآيات لَفًّا ونشراً مرتّباً.

«أن المراد به [أي العذاب المقدم] القطع -قطع يد السارق- وهو في الدنيا»^(٨٢).

«مناسبتُهُ لما اتصلت به وبنيت عليه»^(٨٣) أي: تقديم حكم المحاربة ثم السرقة، كما صرّح المصنف قبل ذلك.

أن «إيقاع النقمة أدلُّ على القدرة... والسياق لها -لما تقدم من خيانة أهل الكتاب وكفرهم، وقصة ابني آدم والسرقة والمحاربة وغير ذلك»^(٨٤).

(٧٩) الحسين بن محمد الأصفهاني، «تفسير الراغب الأصفهاني»، «المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة». تحقيق: د/ محمد عبد العزيز بسيوني، (ط ١، جامعة طنطا: كلية الآداب، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ٣٤٩: ٤.

(٨٠) ابن المنير، «حاشية الكشف»، ٦٣٢: ١.

(٨١) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٣٥٧: ١١.

(٨٢) البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، ١٢٦: ٢.

(٨٣) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المشابه اللفظ من آي التنزيل». وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، (د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، ٧٤: ١.

(٨٤) إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور». (د. ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت)، ١٣٧: ٦.



«لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب»^(٨٥) أي: السرقة والتوبة.

أنه «جيء به على ترتيب الوجود»^(٨٦).

«أن القدرة في تعذيب من يشاء ﷻ أظهر من القدرة في مغفرته ﷻ؛ لأنه لا إباء في المغفرة من المغفور، وفي التعذيب إباء بين»^(٨٧).

وهكذا استفرغ المفسرون جهودهم في الكشف عن أغراض تقديم المقدم، دون النظر إلى أسرار تأخير المؤخر - الذي يقتضي الظاهر تقديمه - طراداً على ما شاع وذاع في ثقافتنا الدينية ونصوص ديننا الحق.

وقد جهدت جهدي في النظر والبحث عما وراء ذلك التأخير - من أسرار وأغراض - فلم أظفر إلا بعبارة فلة لصاحب «التفسير القرآني للقرآن»، حيث يقول: «لو تقدمت المغفرة على العذاب هنا لما كان لعقاب المذنبين - مع سبق الرحمة - مكان، ولشملتهم الرحمة قبل أن يؤخذوا بجرمهم ويقام الحدُّ عليهم، وإلا لسقطت الحدود، واضطرب نظام المجتمع! فكان تقديم العقاب أخذاً لحق الله وحق العباد أولاً، ثم تجيء مغفرة الله ورحمته، فتمحو آثار هذا العقاب وتُعْفِي عليه، لمن وجَّه وجهه إلى الله، وطلب الصفح والمغفرة»^(٨٨).

(٨٥) محمد بن محمد أبو السعود العمادي، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم». (د. ط،

بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ٣: ٣٦.

(٨٦) محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد القاسمي، «محاسن التأويل». تحقيق: محمد باسل عيون

السود، (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ)، ٤: ١٣٧.

(٨٧) القاسمي، «محاسن التأويل»، ٤: ١٣٧.

(٨٨) الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ٣: ١٠٩٧.



تأخير ذكر الرحمة إذن له غرض مستقل منفصل عن أغراض تقديم ذكر العذاب، هو أنها «تمحو آثار هذا العقاب، وتُعَفِّي عليه، لمن وجَّه وجهه إلى الله، وطلب الصفح والمغفرة»، وذلك يؤول بالرحمة المؤخَّرة إلى تقدم رُتبها في قوانين الشريعة، وهذا يتسق تمام الاتساق مع غلبة رحمة الله تعالى غضبه؛ ولذلك قال في «تفسير المنار»: بأنها «لَا تُنَافِي كَوْنَ الرَّحْمَةِ الْمُطْلَقَةِ سَابِقَةً وَمُقَدِّمَةً عَلَى الْعَذَابِ الْمُطْلَقِ»^(٨٩)، والله تعالى أعلم.





المحور الثاني

مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ فِي مَقَامِ
ذِكْرِ الْعَذَابِ؛ لِتَوْسِيطِهِ بَيْنَ جَنَاحِي طُغْيَانِهِ إِمْعَانًا فِي إِدْلَالِهِ بِهِمَا

يقول الله تعالى: ﴿وَقَرُّونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ۚ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْطِيَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٩، ٤٠].

في هاتين الآيتين الكريمتين وما حواليهما «يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ كَيْفَ أَبَادَهُمْ وَنَوَّعَ فِي عَذَابِهِمْ، وَأَخَذَهُمْ بِالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ» (٩٠)؛ «إِمْضَاءَ لِسَنَّتِهِ فِي نُصْرَةِ الضَّعَفَاءِ وَقَهْرِ الظَّالِمِينَ» (٩١). ويضرب الله ﷻ فيها «الْمَثَلَ لِبَنَادِيدِ قُرَيْشٍ - مِثْلَ أَبِي جَهْلٍ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأَبِي لَهَبٍ - بِبَنَادِيدِ بَعْضِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، كَانُوا سَبَبَ مُصَابِ أَنْفُسِهِمْ، وَمُصَابِ قَوْمِهِمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ، إِنْذَارًا لِّقُرَيْشٍ بِمَا عَسَى أَنْ يُصِيبَهُمْ مِنْ جَرَاءِ تَغْيِيرِ قَادَتِهِمْ بِهِمْ، وَإِلْقَائِهِمْ فِي خَطَرِ سُوءِ الْعَاقِبَةِ. وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ» (٩٢).

(٩٠) محمد علي الصابوني، «مختصر تفسير ابن كثير»، (ط٧، بيروت: دار القرآن الكريم، ١٤٠٢هـ -

١٩٨١م)، ٢: ٣٧.

(٩١) القشيري، «لطائف الإشارات»، ٣: ٩٧.

(٩٢) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٠: ٢٤٩.



و«نُصِبَ (قَارُونُ) إِمَّا بفعلٍ مضمَرٍ تقديرُه: اذْكُرْ، وإما بالعطف على ما تقدَّم»^(٩٣)، «أَي: وَأَهْلَكْنَا قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ»^(٩٤)، أو «وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ»^(٩٥).

ومن المُسَلَّم أن قارون كان يعيش تابعاً لفرعون - لعنهما الله تعالى - وينضوي تحت سلطانه؛ لأن «فِرْعَوْنَ... كَانَ قَاهِرًا يَقْهَرُ الْكُلَّ، وَجَعَلَهُمْ بِحَيْثُ لَا يُخَالِفُونَهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ»^(٩٦)، إلا أن فرعون هو المَلِك الذي وصل به التكبر إلى درجة ادّعاء الألوهية، وما ادّعى أحدٌ منهم الألوهية ادّعاءه؛ ولذا ورد ذكره في القرآن الكريم كثيراً^(٩٧) دونهم، وهو الذي تصدّى لدعوة موسى ﷺ بفجاجة، «وَاتَّبَعَهُ هَامَانُ وَقَوْمُهُ، وَأَمَّا مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى لِقَارُونَ فَنَهَيْهِ عَنِ الْبَطْرِ»^(٩٨).

وإذا كان الأمر كذلك كان لذكر فرعون الصدارة هنا - في سياق الحديث عن إهلاك أهل الكفر والبغي والطغيان - كما كان لذكره الصدارة هناك في مقام دعوتهم

(٩٣) ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ٤/ ٣١٧.

(٩٤) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة البصري القيرواني، «التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه». تحقيق: الدكتور/ هند شلبي، (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ٢: ٦٣٠.

(٩٥) الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ١٨: ٤٠٠.

(٩٦) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٩: ٣١٩.

(٩٧) ذكر «فرعون» في الذكر الحكيم منفرداً، ومضافاً إليه: قَوْمُهُ، وألَّهُ، وامرأته، وغير ذلك في سبعة وستين موضعاً، بينما ذكر «قارون» في أربعة مواضع فقط، وبِضْعَةِ عَلَى مُحَرِّكِ البحث في المصحف الإلكتروني تظهر المواضع؛ فلا داعي لذكرها وإثقال البحث بها.

(٩٨) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٠: ٢٥٠.



إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ﷻ وتوحيده، في ثاني موضعي اقترانهما في الذِّكْرِ الْحَكِيمِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونَهُ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤]، فَتَرَى مَا الَّذِي اقْتَضَى تَأْخِيرَ ذِكْرِ فِرْعَوْنَ عَنْ قَارُونَ فِي هَذَا الْمَقَامِ بِالذَّاتِ؟ وَبِالْأُخْرَى مَا الَّذِي وَسَّطَهُ بَيْنَ قَارُونَ وَهَامَانَ؟

لَقَدْ تَبَعْتُ اجْتِهَادَاتِ الْمَفْسِّرِينَ فِي بَيَانِ وَجْهِ ذَلِكَ فَوَجَدْتُهُمْ جَمِيعًا قَدْ شَغِلُوا بِبَيَانِ مَقْتَضِيَّاتِ تَقْدِيمِ قَارُونَ عَلَى فِرْعَوْنَ، وَلَمْ يُعْنُوا بِبَيَانِ الْأَسْرَارِ الْكَامِنَةِ وَرَاءَ تَأْخِيرِ فِرْعَوْنَ، فَشَغَلَهُمْ بَيَانُ أَسْرَارِ تَقْدِيمِ الْمُقَدَّمِ لَا بَحْثُ أَسْرَارِ تَأْخِيرِ الْمُؤَخَّرِ - الْأَوَّلَى بِالتَّحْقِيقِ - جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ جَمْهُورِ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَنَاءِ بِتَقْدِيمِ الْمُقَدَّمِ لَا بِتَأْخِيرِ الْمُؤَخَّرِ.

وَالَّذِي تَرَأَى لِي فِي تَأْخِيرِ فِرْعَوْنَ هُنَا عَنْ قَارُونَ الْقَصْدُ إِلَى تَوْسِيطِ فِرْعَوْنَ بَيْنَ جَنَاحِي الْإِسْتِبْدَادِ وَالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ - إِلَى دَرَجَةِ أَنْ يَدَّعِي الْأُلُوهِيَّةَ - فَقَارُونَ جَنَاحِ الثَّرْوَةِ الَّتِي اسْتَنْدَ عَلَيْهَا فِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ عَصَاهُ الَّتِي تَسْلُطُ بِهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُسْتَضْعَفِينَ... وَلَا شَكَّ أَنَّ قَارُونَ - صَاحِبَ الثَّرْوَةِ الدَّاعِمِ الْأَكْبَرَ وَالْأَقْوَى لِلْحَاكِمِ الْمُسْتَبَدِّ - هُوَ الْأَوَّلَى بِالتَّحْقِيقِ مِنْهُمَا، وَهُوَ مَا جَاءَتْ عَلَيْهِ التَّلَاوَةُ الشَّرِيفَةُ.

وَكُنَّ فِي تَوْسِيطِ فِرْعَوْنَ بَيْنَهُمَا - هُنَا فِي سِيَاقِ الْإِهْلَاكِ وَالتَّعْذِيبِ - إِرْغَامًا لَهُ، وَإِقْحَامًا بَيْنَهُمَا فِي الْعَذَابِ، مَعَاقِبَةً لَهُ عَلَى وَفْقِ وَاقِعِهِ الْمُتَجَبَّرِ أَيَّامَ الطُّغْيَانِ وَالْإِسْتِبْدَادِ - وَهُوَ مَا لَا يُلَمَّحُ لَوْ قَدَّمَ فِرْعَوْنَ فِي الذِّكْرِ عَلَيْهِمَا - وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَلَعَلَّ فِي تَأْخِيرِ ذِكْرِ «فِرْعَوْنَ» - الْأَوَّلَى بِالتَّحْقِيقِ - إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ الْإِمَّا حَا إِلَى إِهَانَتِهِ، وَتَأْخِيرًا لِرُبَّتْبَتِهِ؛ إِذْ رَفَضَ الدَّعْوَةَ إِلَى التَّوْحِيدِ مُقَدِّمًا هُنَاكَ عَلَيْهِمَا.. وَخِلَاصَةُ جُهُودِ الْعُلَمَاءِ فِي تَقْدِيمِ «قَارُونَ» عَلَى فِرْعَوْنَ:



أولاً: أن «المقصود تسلية النبي ﷺ فيما لقي من قومه لحسد لهم، وقارون كان من قوم موسى ﷺ، وقد لقي منه ما لقي»^(٩٩).

ثانياً: «أن حاله أوفق بحال عاد وثمرود؛ فإنه كان من أبصر الناس وأعلمهم بالتوراة، ولم يُفدّه الاستبصار شيئاً، كما لم يُفدّهم كونهم مستبصرين شيئاً»^(١٠٠).

ثالثاً: «أن هلاكه كان قبل هلاك فرعون وهامان؛ فتقديمه على وفق الواقع».

رابعاً: «لأنه أشرف من فرعون وهامان؛ لإيمانه في الظاهر، وعلمه بالتوراة، وكونه ذا قرابة من موسى ﷺ، ويكون في تقديمه لذلك في مقام الغضب إشارة إلى أن نحو هذا الشرف لا يُفيد شيئاً، ولا يُنقذ من غضب الله تعالى على الكفر».

خامساً: أن «تقديم قارونَ «لقرابته من موسى»^(١٠١)؛ أي أنه قدّم «لشرف نسبه»^(١٠٢)؛ «لكونه ابن عمه»^(١٠٣)، «فيه تنبيهٌ لكفار قريش أن شرف نسبهم لا يُخلّصهم من العذاب كما لم يُخلّص قارون»^(١٠٤)، «وفيه إشعار بأن الكفر والعصيان من شريف النسب أقيح»^(١٠٥).

(٩٩) الألوسي، «روح المعاني»، ١٠: ٣٦٣.

(١٠٠) الألوسي، «روح المعاني»، ١٠: ٣٦٣.

(١٠١) محيي الدين درويش، «إعراب القرآن وبيانه»، ٧: ٤٣٤.

(١٠٢) البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، ٤: ١٩٥. وأبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا

الكتاب الكريم»، ٧: ٤٠. والزحيلي، «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج»، ٢٠: ٢٣٧.

(١٠٣) القنوجي، «فتح البيان في مقاصد القرآن»، ١٠: ١٩٢.

(١٠٤) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، «روح البيان». (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٣١هـ)، ٦: ٤٦٩.

(١٠٥) محمد ثناء الله المظهري، «التفسير المظهري». تحقيق: غلام نبي التونسي، (د.ط، باكستان:

مكتبة الرشدية، ١٤١٢هـ)، ٧: ٣٠٢.



سادساً: مراعاة الترتيب الزمني لِسَبْقِ هلاك قارون هلاك فرعون، قال صاحب «التفسير القرآني للقرآن»: «في الآية دليل على أنَّ قارون قد هلك قبل هلاك فرعون، وهذا يعني أنه هلك وموسى وبنو إسرائيل لم يَخْرُجُوا من مصر بعد»^(١٠٦)، ولا أرى في الآية الكريمة دليلاً على هلك قارون قبل فرعون إلا من تأخير ذكر فرعون عن ذكر قارون، والله تعالى أعلم.





المحور الثالث

مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ إِنْصَافًا لِلْمُقَدَّمِ، شَمْلَهُ الْمُوَخَّرَ أَوْ لَمْ يَشْمَلْهُ

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

«قد أجمعت الشرائع والعقول على أن القذف ... اعتداءً على الأعراض التي
يقتضي النظام العام صيانتها، خصوصاً إذا لوحظ ما يترتب عليه من شرٍّ وفساد؛
لأن قذف المحصنات بالزنا يوجب لا محالة العداوة والبغضاء بين الأسر، ويؤلّد
الضغائن والأحقاد في نفوس الناس، وربما أفضى إلى الانتقام بقتل النفس، وذلك
شرٌّ وبيلٌ يجب أن توضع له عقوبةٌ تحذّر الناس عنه، فلا يُطلقون لألستهم العنان
فيه، حذرًا مما يترتب عليه من شرٍّ وفسادٍ» (١٠٧).

وقد «تضمنت هذه الآية وعيد القاذفين للمحصنات الغافلات المؤمنات
باللّعن في الدنيا والآخرة، وبالعذاب العظيم» (١٠٨)، قال في «الكشاف»: «ولو فليّت
القرآن كلّهُ وفَتّشت عما أُوعِد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلّظ في شيء تغليظه
في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد

(١٠٧) عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، «الفقه على المذاهب الأربعة». (ط ٢، بيروت: دار

الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ٥: ٢٠٠.

(١٠٨) مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، «التفسير الوسيط للقرآن

الكريم»، ١٢: ١٣٨٧.



الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف... وما ذاك إلا لأمر^(١٠٩). وقد ذُكِرَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ صِفَاتٍ ثَلَاثًا: أَوَّلَاهَا: (المحصنات) -وهي المفعول به- والأخريان: (الغافلات المؤمنات) -وهما نعتان له- يقول صاحب «الجدول»: «(الغافلات المؤمنات) نعتان للمحصنات، منصوبان مثله»^(١١٠)، «وفى كل صفة من هذه الصفات عاصمٌ يَعَصِمُ الْمُتَّصِفُ بِهَا مِنَ الزَّلَلِ وَالْوُقُوعِ فِي هَذَا الْمُنْكَرِ»^(١١١).

وَمِنْ اللَّافِتِ فِيهَا تَأْخِيرُ صِفَةِ (المؤمنات) عَنْهُمَا كِلْتَاهُمَا، وَلَا رَيْبَ أَنَّ رُتْبَةَ الْإِيمَانِ - بَيْنَ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ وَالشَّرِيعَةِ - تَسْبِقُ رُتْبَةَ الْإِحْصَانِ وَالْغَفْلَةِ؛ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. بَلْ إِنَّ مِنَ الْمَفْسَرِينَ مَنْ عَكَسَ فَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ (المؤمنات) عَلَى الْآخَرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ يَتَّهِمُونَ الْمُؤْمِنَاتِ الْمُتَزَوِّجَاتِ الشَّرِيفَاتِ الْغَافِلَاتِ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالطَّرْدُ مِنْ رَحْمَتِهِ»^(١١٢)، فَالْإِيمَانُ بَوَابُهُ الدِّينُ؛ لِذَا كَانَ الْأَوَّلَى بِالتَّقْدِيمِ، فَتَرَى مَا الَّذِي رَجَّحَ تَأْخِيرَهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ؟ الْحَقُّ أَقُولُ: قَدْ كَانَ تَقْدِيمُ الْمُقَدَّمِ مِنَ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ -المحصنات- هُوَ الَّذِي لَفْتَنِي وَتَبَادَرُ إِلَيَّ غَرَضُهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ، ثُمَّ نَظَرْتُ -بِحَكْمِ فِكْرَةِ الْبَحْثِ- فِي مُوْجِبِ تَأْخِيرِ الْمُؤَخَّرِ -الأُولَى بِالتَّقْدِيمِ- الْمُؤْمِنَاتِ.

وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنْ أَحَدًا -مِنْ أَصْحَابِ التَّفَاسِيرِ الَّتِي طَالَعْتُهَا- عَلَى كَثَرَتِهَا- لَمْ

(١٠٩) الزمخشري، «الكشاف»، ٣: ٢٢٣.

(١١٠) محمود صافي، «الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة». (ط ٣، دمشق:

دار الرشيد - بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، ١٨: ٢٤٦.

(١١١) الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ٩: ١٢٥٤.

(١١٢) إبراهيم القطان، «تيسير التفسير». (الشاملة ١٤٣١هـ)، ٢: ٤٩٤.



يلتفت إلى لطائف تقديم المقدم من تلك الأوصاف، ولا إلى لطائف تأخير المؤخر منها... وربما شغلهم بحث أحكام الآية فقهياً عن بحث لطائفها بلاغياً، رحمهم الله تعالى أجمعين.

وغرض تقديم صفة (المحصنات) ووضعها موضع المفعول مباشرة والبناء عليها، فأراه الإشادة بحصانة المرأة الحصينة «الطاهرة المبرأة من السوء»^(١١٣)، والإيحاء بأن كل حصينة من الفاحشة يجب أن تكون حصينة من الاتهام بالفاحشة، وأن ذلك الحكم عام لا يختص بأمة المؤمنين عائشة- التي نزلت هذه الآيات الكريمات بمناسبة دفع الإفك عنها- بل يتسع الحكم ليشمل أمهات المؤمنين، وكذلك يشمل جميع المؤمنات وغير المؤمنات، وأنه يجب أن تنال قاذف المحصنة عموماً عقوبة مثل عقوبة قاذف الواحدة من المؤمنات.

ومن العلماء من نص على أن هذا الحكم يتسع للمحصنات الكافرات أيضاً، يقول ابن حزم: «أما الحد فواجب بلا شك؛ لأنه حكم الله تعالى على كل قاذف»^(١١٤)، ويقول الرازي: ظاهر الآية يتناول جميع العفائف سواء كانت مسلمة أو كافرة، وسواء كانت حرة أو رقيقة، غير أن جمهور الفقهاء^(١١٥) قد يرى أن «شرائط الإحصان خمسة» [أي: مجتمعة؛ هي]: الإسلام، والعقل، والبُلُوغُ، والحرية والعفة

(١١٣) الخطيب، «التفسير القرآني للقرآن»، ٩: ١٢٥٤.

(١١٤) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، «المحلى بالآثار». تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٣١هـ)، ١٢: ٢٣٥.

(١١٥) قال محمد بن الحسن الشيباني: «ولا حد على من قذف الكافر». محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، «الأصل». تحقيق: الدكتور/ محمد بونوكال، (ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ٧: ٢٠٧.



مِنَ الزِّنَا، وَإِنَّمَا عَتَبَرْنَا الْإِسْلَامَ لِقَوْلِهِ ﷺ (١١٦): «مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ بِمُحْصَنٍ»، أقول: وإذا ثبت أن هذا القول موقوف على ابن عمر - كما قال الدارقطني: «لَمْ يَرْفَعْهُ غَيْرُ إِسْحَاقَ»، وَيُقَالُ: إِنَّهُ رَجَعَ عَنْهُ، وَالصَّوَابُ [أَنَّهُ] مَوْقُوفٌ، وقد رَوَى ابْنُ عُمَرَ ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَجَمَ يَهُودِيَيْنِ زَنِيَا، وَكَانَا مُحْصَنَيْنِ» (١١٧)، قال البيهقي: وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ بِمُحْصَنٍ» - لَمْ يُرِدْ بِهِ الْإِحْصَانَ الَّذِي هُوَ شَرْطٌ فِي الرَّجْمِ» (١١٨)، أقول إذا ثبت كل ذلك كان الحكم عامًّا.

فالصواب في هذه القضية إذن قد حالف ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في تعميمه حكم حدِّ القذف على مَنْ قذف المسلم وغير المسلم؛ بخلاف رأي الجمهور السالف ذكره الذي خالفه السداد، ومرجع الخلاف بينهما يرجع إلى تفسير «الإحصان» في الآية الكريمة... فالجمهور يشترط الأمور الخمسة السابقة، ومنها الإسلام، وابن حزم يكتفي بواحدة من الخمسة؛ فلا يشترط في المقدوف الإسلام، ويدعم رأي ابن حزم تقديم الآية الكريمة صفة «المحصنات»... ولو قُدِّمَتْ صِفَةُ (المؤمنات) فكانت المفعول به وبُني عليها الصفتان الأخريان - وقيل في غير القرآن الكريم: إن الذين يرمون المؤمنات المحصنات الغافلات - لضعُفَتْ في الآية الكريمة هذه اللفظة، وإن استُفِيدَتْ من نصوصٍ دينيةٍ أخرى.

(١١٦) علي بن عمر الدارقطني، «سنن الدارقطني». تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وحسن عبد المنعم شلبي، وعبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، (ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، برقم ٣٢٩٥.

(١١٧) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، «السنن الصغير». تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، (ط١)، كراتشي: جامعة الدراسات الإسلامية، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، ٣: ٢٩٤.

(١١٨) البيهقي، «السنن الصغير»، ٣: ٢٩٤.



ففي ذلك التقديم إذن تنويهٌ بظُهر المرأة الطاهرة الحصينة العفيفة أولاً وقبل الوصول إلى ذكر دينها، قال الطبري: «اختلف أهل التأويل في المحصنات اللاتي هذا حكمهنَّ، فقال بعضهم: إنما ذلك لعائشة خاصة، وحُكمٌ من الله فيها وفيمن رماها، دون سائر نساء أمة نبينا ﷺ ... وقال آخرون: بل ذلك لأزواج رسول الله ﷺ خاصة دون سائر النساء غيرهنَّ ... وقال آخرون: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، وعُني بها كلُّ مَنْ كان بالصفة التي وصف الله في هذه الآية، قالوا: فذلك حُكم كلِّ مَنْ رَمَى محصنةً لم تقارف سوءاً»، قال الطبري: «وأولَى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول مَنْ قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عامٌّ في كلِّ مَنْ كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها. وإنما قلنا ذلك أولَى تأويلاته بالصواب؛ لأن الله عمَّ بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ كلَّ محصنة غافلة مؤمنة، رماها رامٍ بالفاحشة، مِنْ غير أن يخصَّ بذلك بعضاً دون بعض، فكلُّ رامٍ محصنةً بالصفة التي ذكر الله جلَّ ثناؤه في هذه الآية فملعونٌ في الدنيا والآخرة، وله عذابٌ عظيمٌ، إلا أن يتوب مِنْ ذنبه ذلك قبل وفاته، فإن الله دَلَّ باستثنائه بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ على أن ذلك حكم رامي كلِّ محصنة، بأيِّ صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية» (١١٩).

وإن كان ابن جرير لا يزال يختصُّ (المحصنات ... المؤمنات) في تعليله عموم الحكم بقوله: «لأن الله عمَّ بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ كلَّ محصنة غافلة مؤمنة، رماها رامٍ بالفاحشة»، فإن تقديم (المحصنات) على (المؤمنات) قائل بالعموم الأوسع الأشمل لكل محصنة تُقذف، ومما يدعم ذلك

(١١٩) الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ١٩: ١٣٩، ١٤٠.



ما روى الطبراني في «الكبير» عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْ قَذَفَ الْمُحْصَنَةُ يَهْدُمُ عَمَلٌ مِائَةَ سَنَةٍ»^(١٢٠)، وأحسب أن ابن جرير قد وقف هنا عند عموم المحصنات المؤمنات دون عموم النساء المحصنات من الليل الأخرى؛ لأنه بصدد تحرير الآراء الثلاثة الواردة في المسألة عن الفقهاء، والله تعالى أعلم.

ولا شك أن هذا الحكم الأوسع يُترجم عملياً نزاهة دين الإسلام؛ وذلك بصيانة الحقوق، ورد ظلم القاذفين عن المؤمنات وعن غير المؤمنات، وفي ذلك تتحقق المحافظة على طهر المجتمع بكل طوائفه المؤمنة وغير المؤمنة - وإن كان للمحصنة المؤمنة قطعاً قيمة أعلى ومنزلة أرقى؛ لطهر عقيدتها إلى طهر عفتها - فإن قاذفها يُرجم، وقاذف المحصنة الكافرة يُكتفى فيه بالتعزير، كما نصّ العلماء^(١٢١)، والله تعالى أعلم.

(١٢٠) سليمان بن أحمد الطبراني، «المعجم الكبير». تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. (ط ١)،

القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، برقم ٣٠٢٣، مُسَنَّدُ حُذَيْفَةَ ﷺ، ٣: ١٦٨.

(١٢١) قال الرازي: «مَنْ قَذَفَ كَافِرًا، أَوْ مَجْنُونًا، أَوْ صَبِيًّا، أَوْ مَمْلُوكًا، أَوْ مَنْ قَدْ رَمَى امْرَأَةً، فَلَا حَدَّ عَلَيْهِ، بَلَّ

يُعَزَّرُ لِلْأَدَى». الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٢٣: ٣٢٣، وقال الماوردي: «إن كان المقذوف كافراً أو عبداً

عُزِّرَ قاذفه ولم يحدل»، «النكت والعيون»، ٤: ٧٤، وجاء في «الحاوي الكبير»: «وإن كان المَقْدُوفُ

كافراً فَلَا حَدَّ عَلَى قَاضِيهِ، سَوَاءً كَانَ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا؛ لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ عَدَمِ شَرْطِ الْإِحْصَانِ فِيهِ، ولأنه لما

لم يأخذ نفس المسلم بنفس الكافر لَمْ يُؤْخَذْ عِرْضُهُ بِعِرْضِهِ». علي بن محمد الماوردي، «الحاوي

الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، وهو شرح مختصر المزني». تحقيق: علي محمد معوض، عادل

أحمد عبد الموجود، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، ١٣: ٢٥٦.

وجاء في «المحلى»: «وَبَقِيَ قَذْفُ الْكَافِرَةِ فَوَجَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْتُونَ الْمُحْصَنَاتِ نُرًّا

لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَأَجْلِدْهُمْ وَمِنْهُنَّ ثَمَنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤] الآية، فَهَذَا عُمُومٌ تَدْخُلُ فِيهِ الْكَافِرَةُ

وَالْمُؤْمِنَةُ، فَوَجَبَ أَنْ قَاضِيَهَا فَاسِقٌ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ». ابن حزم، «المحلى بالآثار»، ١٢: ٢٢٤.



وكأنى بالعلماء قد غنوا بالمفعول (المحصنات) دون ما وراءه إلى حد أن يقول العلامة الطاهر ابن عاشور: «وَذَكَرَ وَصَفَ الْمُؤْمِنَاتِ لِتَشْنِيعِ قَذْفِ الَّذِينَ يَقْذِفُونَهُنَّ كَذِبًا؛ لِأَنَّ وَصَفَ الْإِيمَانِ وَازْعٌ لَهُنَّ عَنِ الْخَنَى» (١٢٢).

إنَّ صيانة المجتمعات من إشاعة الرذيلة وتحصينها من فتن القيل والقال، يقتضي تقديم المحصنة العفيفة في هذا المقام، مؤمنة كانت أو غير مؤمنة، فإن كانت مؤمنة فيها ونعمت، وإن كانت كافرة فعقيدتها تختصُّ بها، وهي شأنها مع ربها عز وعلا؛ لذلك كان رأي ابن حزم حازماً لصيانة المجتمع من هذه الجهة.

وأما غرض تأخير (المؤمنات) - وهو الوصف الذي يقتضي الظاهر تقديمه هنا - فأحسبه تفضيح قذْفهنَّ، وذلك بالترقي إلى ذكرهنَّ بعد ذكر الوصفين اللذين هما دونه قدرًا في الميزان الأعم لهذا الدين الحق، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى لاعم تأخير ذكر (المؤمنات) ما لحقه من ذكر عقوبة اللعن والطرْد من رحمة الله ﷻ، حيث يقول ﷺ: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.





المبحث الثالث

مِنْ وُجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ فِي
مَقَامِ التَّشَبُّهِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى

وتحتة محوران:

المحور الأول: مِنْ وُجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ
تَبَرُّتَهُ لِلْقَضِيَّةِ الْمُعَالَجَةِ مِنْ شُبْهَةٍ مَا لَوْ قُدِّمَ.

المحور الثاني: مِنْ وُجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ
لِيَتَّصِلَ بِمَا بَعْدَهُ تَرْهِيبًا مِنْهُ.





المحور الأول

مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ تَبَرُّنَهُ لِلْقَضِيَّةِ الْمُعَالَجَةِ مِنْ شَبْهَةٍ مَا لَوْ قَدَّمَ

يقول الله ﷻ: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۖ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَبَّالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ۖ فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ۖ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ۖ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاجِدٌ وَلَا يُقْلِحُ السَّاجِدُ حَيْثُ أَتَى ۖ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۖ﴾ [طه: ٦٥-٧٠].

من المعلوم المقرر أن النبي المرسل أولاً إلى فرعون وملئه المكلف بدعوتهم إلى الله تعالى إنما هو موسى ﷺ، وأن إرسال هارون ﷺ جاء بعد تلبية لدعاء موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ۖ يَقْفَهُوا قَوْلِي ۖ وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۖ هَارُونَ أَخِي ۖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۖ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۖ كَيْ تَسْحِكَ كَثِيرًا ۖ وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۖ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۖ﴾ [طه: ٢٥-٣٦].

وعلى ذلك اطرّد تقديم ذكر موسى على ذكر هارون ﷺ حيث اجتمعا في القرآن الكريم في خمسة مواضع، تكرر ذكرهما مجتمعين في موضع واحد منها مرتين، فالمجموع ست مرات (١٢٣).

(١٢٣) الموضع الأول: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ...﴾ [يونس: ٧٥].

الموضع الثاني: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].
وهذان الموضعان إخبار من الله تعالى.

الموضع الثالث: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَى وَهَارُونَ... سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الصافات: ١١٤-١٢٠]. وهو موضع امتنان من الله تعالى على موسى وهارون ذكرًا فيه مرتين.



واضح أنَّ الحوار في موضع الشاهد إنما دارَ بين موسى وحده ﷺ دون أخيه هارون ﷺ، وبين فرعون عليه اللعْنُ: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى﴾، وكذا دار بين السحرة وبين موسى ﷺ أيضًا وحده دون هارون ﷺ: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ١٥ ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾، وإذن فلا ذكر لهارون ﷺ في ذلك الحوار المباشر.

وإضافة إلى ذلك فإن النبي المرسل أولاً إنما هو موسى ﷺ، وأن هارون ﷺ إنما كُلف بناء على طلب من موسى ﷺ: ﴿وَلَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ ١٦ ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ ٣٠ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ٣١ وَأَشْرَكَ فِي أَمْرِي ٣٢.

فلماذا إذن قَدَّمَ السحرة - حين آمنوا - ذِكرَ هارون ﷺ على ذكر موسى ﷺ في قولهم: ﴿قَالُوا السَّحَرَةُ سَجَدَا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾، دون الموضعين الآخرين اللذين قَدَّموا فيهما ذكر موسى ﷺ على ذكر هارون ﷺ؟

ذهب المفسرون في الإجابة على هذا السؤال مذاهب شتى؛ فمنهم من استدلل بتقديم اسم «موسى» مرات وتأخيره مرة على أن الغرض هو التنبيه إلى أن الغاية هو المعنى دون اللفظ، فبأي لفظ جاء المعنى وتحقق فلا بأس.

ومنهم من رأى الداعي لذلك هو الرغبة في اطراد الفواصل القرآنية في السورة

= الموضع الرابع: ﴿فَعَلِبُوهَا هَذَا وَتَقَلَّبُوا صَغِيرِينَ﴾ ١٧ ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾ ١٨ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٩ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١، ١٢٢].

الموضع الخامس: ﴿قَالُوا السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾ ٢٠ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢١ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٦ - ٤٨]. وهذان الموضعان الأخيران من كلام السحرة إقرارًا واعترافًا لحظة إيمانهم بالله تعالى ربًّا، وقد رأوا آية العصا، وعلموا أنها معجزة خارقة.



الشريفة على حرف الألف الموجودة في آخر لفظ «موسى» دون «هارون». ومنهم من التمس لطائف بلاغية بارعة، تليق بعظمة الذكر الحكيم، وتناسب قوة إعجازه، بحيث تحقق بتأخير «موسى» وتولدت دلالات معنوية ولفظية مائعة. ومنهم من لم يلتفت إلى ذلك التأخير أصلاً، وإنما شغلهم من النظم الكريم مباحث أخرى... وسنعرض لتلك الوجوهات لدى تلك الطوائف من المفسرين بحسب الأقدم فالأحدث... فإلى تلك الرؤى والاجتهادات:

◆ أولاً: أن الغاية من تأخير «موسى» تحقيق المعنى كيفما جاء اللفظ واتفق؛

جاء في «تفسير السمرقندي» في تفسير «سورة طه»: «قال الله ﷻ: ﴿لَا تَخَافَنَّ﴾ عقوبة فرعون عند أداء الرسالة، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: مُعِينُكُمْ. ﴿أَسْمَعْ﴾ ما نزل عليكما، ﴿وَأَرَى﴾ ما يصنع بكما.

ثم قال ﷻ: ﴿فَأْتِيَاهُ﴾، يعني: فاذهبا إلى فرعون، ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾. قال الفقيه أبو الليث ﷻ: في الآية دليل أنه يجوز رواية الأخبار بالمعنى، وإنما العبرة للمعنى دون اللفظ؛ لأن الله تعالى حكى معنى واحداً بألفاظ مختلفة، وقال في موضع آخر: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، وقال هاهنا: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٧] رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ [الأعراف: ١٢١-١٢٢]، وقال في موضع: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [١٢٤].

◆ ثانياً: أن الغاية من تأخير «موسى» مراعاة أطراد الفواصل القرآنية؛

قال السمعاني: «وَقُدِّمَ هَارُونَ عَلَى مُوسَى عَلَى وَفْقِ رُءُوسِ الْآيِ» (١٢٥). وكرر

(١٢٤) السمرقندي، «بحر العلوم»، ٢: ٤٠١.

(١٢٥) منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، «تفسير القرآن». تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن



الكرماني هذا القول محاولاً دعمه بخصائص سياقية مصاحبة، فقال: «قَدَّمَ هَارُونَ وَأَخَّرَ مُوسَى فِي اللَّفْظِ مَرَاعَاةً لِفَوَاصِلِ الْآيِ، وَلِهَذَا أَيْضًا قَالَ فِي السُّورَتَيْنِ: ﴿وَالْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾، لِأَنَّ آيَاتِ السُّورَتَيْنِ أَكْثَرُهَا عَلَى النُّونِ، وَقَالَ فِي طه: ﴿سَجَدًا﴾، وَمِثْلُهُ فِي الْأَعْرَافِ: ﴿فَسَوْفَ نَعْمُونَ﴾، وَفِي الشَّعْرَاءِ: ﴿فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ﴾، وَاخْتَصَرَ فِي طه عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ﴾ (١٢٦).

وقد ردَّد ابن عطية الغرض نفسه فقال: «وَقَدَّمَ هَارُونَ قَبْلَ مُوسَى لِتُسَوَّى رُءُوسُ آيِ السُّورِ، فَنَقْلُ مَعْنَى السَّحَرَةِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ ﷺ: ﴿أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣] تَأْخُرُ شَتَّى إِنَّمَا هُوَ لِتُسَوَّى رُءُوسُ الْآيِ» (١٢٧). وبه قال «صاحب التسهيل»، قال: «قَدَّمَ هَارُونَ لِتُعَادَلَ رُءُوسُ الْآيِ» (١٢٨).

وقال النسفي: «وإنما قَدَّمَ هَارُونَ هُنَا وَأَخَّرَ فِي الشَّعْرَاءِ مَحَافِظَةً لِلْفَاصِلَةِ، وَلِأَنَّ الْوَاقِعَ لَا تَوْجِبُ تَرْتِيبًا» (١٢٩). وقال ابن عاشور: «وَتَقْدِيمُ هَارُونَ عَلَى مُوسَى هُنَا وَتَقْدِيمُ مُوسَى عَلَى هَارُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي [سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ١٢١، ١٢٢]: ﴿قَالُوا أَمَنَّا

= عباس بن غنيم، (ط١)، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ٣: ٢٤١، وبه قال محمد صديق خان «صاحب فتح البيان»، ٣: ٤٤٣، والمظهري، «التفسير المظهري»، ٦: ١٥١، وبه قال أيضاً محمد الأمين الشنقيطي، «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن». (د.ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ٤: ٦٢؛ ووهبة بن مصطفى الزحيلي، «التفسير الوسيط». (ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٢هـ)، ٢: ١٥٣٤.

(١٢٦) الكرماني، «غرائب التفسير وعجائب التأويل»، ١: ٤١٧.

(١٢٧) ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ٤: ٥٢.

(١٢٨) محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي، «التسهيل لعلوم التنزيل». تحقيق: الدكتور/ عبد الله

الخالدي. (ط١، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ)، ٢: ١٠.

(١٢٩) النسفي، «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، ٢: ٣٧٤.



رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ لَا دَلَالَهَ فِيهِ عَلَى تَفْصِيلٍ وَلَا غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ الْعَاطِفَةَ لَا تُفِيدُ أَكْثَرَ مِنْ مُطْلَقِ الْجَمْعِ فِي الْحُكْمِ الْمَعْطُوفِ فِيهِ، فَهُمْ عَرَفُوا اللَّهَ بِأَنَّهُ رَبُّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَحُكِّيَ كَلَامُهُمْ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ حُكِّيَ فِي [سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ١٢١] قَوْلُ السَّحَرَةِ: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَلَمْ يُحَكَّ ذَلِكَ هُنَا؛ لِأَنَّ حِكَايَةَ الْأَخْبَارِ لَا تَقْتَضِي الْإِحَاطَةَ بِجَمِيعِ الْمَحْكِيِّ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مَوْضِعُ الْعِبْرَةِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ» (١٣٠).

وإني لأعجب لابن عاشور -وهو من هو- كيف يُغفل تلك الأسرار واللطائف التي قال بها أئمة التفسير قبله؟! وكيف يقف عند القول بمراعاة الفواصل؛ وهو أمرٌ لفظي لا يُعتدُّ به منفردًا؟!

◆ ثالثاً: أن الغاية من تأخير «موسى» ﷺ تحرير قضية التوحيد:

قال الفخر الرازي بأن «فِرْعَوْنَ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النَّازِعَاتِ: ٢٤]، وَالْإِلَهِيَّةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [الْقَصَصِ: ٣٨]، فَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [فقط] لَكَانَ فِرْعَوْنُ يَقُولُ: إِنَّهُمْ آمَنُوا بِي لَا بغيري. فَلَقَطَعَ هَذِهِ التُّهْمَةَ اخْتَارُوا هَذِهِ الْعِبَارَةَ، وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّهُمْ قَدَّمُوا ذَكَرَ هَارُونَ عَلَى مُوسَى؛ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يَدَّعِي رُبُوبِيَّتَهُ لِمُوسَى بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ رَبَّاهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١٨]، فَالْقَوْمُ لَمَّا احْتَرَزُوا عَنْ إِيْهَامَاتِ فِرْعَوْنَ لَا جَرَمَ قَدَّمُوا ذَكَرَ هَارُونَ عَلَى مُوسَى قَطْعًا لِهَذَا الْخِيَالِ» (١٣١).

وقال البيضاوي: «قُدِّمَ هَارُونُ لكبر سنه، أو لروِي الآيَةِ، أو لأن فرعونَ رَبِّي

(١٣٠) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ١٦: ٢٦٢.

(١٣١) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٧: ٢٢.



موسى في صغره؛ فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره لربما توهم أن المراد فرعون، وذكر هارون على الاستتباع» (١٣٢).

وقال «صاحب البحر»: «وقدّم موسى في الأعراف وآخر هارون لأجل الفواصل أيضًا... ولا فرق بين: قام زيد وعمرو، وقام عمرو وزيد؛ إذ الواو لا تقتضي ترتيبًا، على أنه يُحتمل أن يكون القولان من قائلين؛ نطقت طائفة بقولهم: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾، وطائفة بقولهم: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾، ولما اشتركوا في المعنى صحّ نسبة كل من القولين إلى الجميع. وقيل: قدّم هارون هنا لأنه كان أكبر سنًا من موسى، وقيل: لأن فرعون كان ربي موسى فبدءوا بهارون ليزول تمويه فرعون أنه ربي موسى فيقول: أنا ربّيته. وقالوا: رب هارون وموسى ولم يكتفوا بقولهم: رب العالمين؛ للنص على أنهم آمنوا برب هذين، وكان فيما قبل يزعم أنه رب العالمين» (١٣٣).

وقال ابن عادل: «تقديمهم ذكر هارون على موسى؛ لأن فرعون كان يدّعي ربوبية موسى (بناءً على أنه ربّه)، وقال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨]، فالقوم لما احتزروا على إيهامات فرعون قدّموا ذكر هارون على موسى قطعاً لهذا الخيال» (١٣٤).

وقد ردّد صاحب «السراج المنير» قول الفخر الرازي -وهو أول من قال به من أهل التفسير- فقال «صاحب السراج»: «قيل: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾،

(١٣٢) البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، ٤: ٣٣.

(١٣٣) أبو حيان الأندلسي، «البحر المحيط في التفسير»، ٧: ٢٥٣.

(١٣٤) عمر بن علي بن عادل، «اللباب في علوم الكتاب». تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي

محمد معوض. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ١٣: ٣١٨، وبه أيضًا

قال الزحيلي، «التفسير الوسيط»، ٢: ١٥٣٤.



ولم يقولوا: آمنا برب العالمين؛ لأن فرعون ادّعى الربوبية في قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، والإلهية في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فلو أنهم قالوا ذلك لكان فرعون يقول: إنهم آمنوا بي لا بغيري، فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة، والدليل على ذلك أنهم لم يقتصروا على موسى، بل قدّموا هارون؛ لأن فرعون ربّي موسى في صغره، فلو اقتصروا على موسى أو قدّموا ذكره فربما تُوهّم أن المراد فرعون، وذكر هارون على الاستتباع، وقيل: قدموه لِكِبَرِ سنّه، أو لِرُويّ الآية» (١٣٥).

وقد ردّد أبو السعود الأقوال السابقة فقال: «تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل، وقد جُوّز أن يكون ترتيب كلامهم أيضًا هكذا؛ إمّا لِكِبَرِ سنّ هارون ﷺ، وإمّا للمبالغة في الاحتراز عن التوهّم الباطل من جهة فرعون وقومه؛ حيث كان فرعون ربّي موسى ﷺ، فلو قدّموا موسى ﷺ لربما توهّم اللعين وقومه من أول الأمر أن مرادهم فرعون» (١٣٦).

وقد ردّد ابن عجيبة كلام أبي السعود فقال: «قدّموا هارون إمّا لِكِبَرِ سنّه، أو للمبالغة في الاحتراز عن التوهّم الباطل من جهة فرعون، حيث كان ربّي موسى ﷺ في صغره، فلو قدّموا موسى لربما توهّم اللعين وقومه من أول الأمر أن مرادهم فرعون، فأزاحوا تلك الخطرة من أول مرة» (١٣٧).

(١٣٥) محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير». (د.ط، القاهرة: بولاق، ١٢٨٥هـ)، ٢: ٤٧٣. وبه قال الإستانبولي، «روح البيان»، ٥: ٤٠٥.

(١٣٦) أبو السعود، «إرشاد العقل السليم»، ٦: ٢٨.

(١٣٧) ابن عجيبة، «البحر المديد»، ٣: ٤٠٢، وقد ردّد بعضه أحمد بن مصطفى المراغي، فقال: «ذكروا



وقد انتفع الإمام الشعراوي باللطائف التي استنبطها الإمامان الرازي وأبو حيان، وزادها تبيناً فقال: «نعلم أن موسى عليه السلام هو الأصل، ثم أرسل معه أخوه هارون، ولما عرض القرآن موقف السحرة مع موسى حكى قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠] وقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ﴾ [الشعراء: ٤٧، ٤٨]. لذلك كانت هذه المسألة مثار جدلٍ من خصوم الإسلام، يقولون: ماذا قال السحرة بالضبط؟ أقالوا: الأولى أم الثانية؟

ولك أن تتصور جمهرة السحرة الذين حضروا هذه المعركة، فكان رؤساؤهم وصفوتهم سبعين ساحراً، فما بالك بالمرؤوسين؟ إذاً هم كثيرون، فهل يُعقل مع هذه الكثرة وهذه الجمهرة أن يتحدوا في الحركة وفي القول؟ أم يكون لكل منهم انفعاله الخاص على حسب مداركه الإيمانية؟

لا شك أنهم لم يتفقوا على قولٍ واحدٍ؛ فمنهم من قال: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠]، وآخرون قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ﴾ [الشعراء: ٤٧، ٤٨].

كذلك كان منهم سطحي العبارة، فقال: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ﴾ [الشعراء: ٤٧، ٤٨]، ولم يفتن إلى أن فرعون قد ادعى الألوهية وقال: أنا ربكم الأعلى، فربما يفهم من قوله: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ﴾ [الشعراء: ٤٨] أنه فرعون، فهو الذي ربى موسى وهو صغير.

وأخر قد فطن إلى هذه المسألة، فكان أدق في التعبير، وأبعد موسى عن هذه

= هارون وقدموه عليه خوفاً من هذه الشبهة أيضاً؛ إذ إن فرعون كان يدعى ربوبيته لموسى؛ لأنه ربّه في صغره كما قال: ﴿أَلَمْ نُزَكِّكَ فَيْسًا وَلَيْدًا﴾، المراغي، «تفسير المراغي»، ١٦: ١٢٩.



الشبهة، فقال: ﴿أَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠] وجاء أولاً بهارون الذي لا علاقة لفرعون بتريته، ولا فضل له عليه، ثم جاء بعده بموسى.

إذاً: هذه أقوال متعددة، ولقطات مختلفة لمجتمع جماهيري لا تنضبط حركاته، ولا تتفق تعبيراته، وقد حكاها القرآن كما كانت، فليس لأحد بعد ذلك أن يقول: إن كان القول الأول صحيحاً، فالقول الآخر خطأ أو العكس^(١٣٨).

وهذا البيان لفحوى كلام الإمامين الرازي وأبي حيان في غاية الروعة، ولا أجد مزيداً عليه؛ لأنه يحلّل الموقف تحليلاً يراعي اختلاف طبقات الوعي لدى السحرة حين فاجأتهم المعجزة؛ فمنهم من اندفع على عواهنه فنطق بعبارة الإيمان كيفما اتفق، ومنهم من احتاط في العبارة فضيّق على فرعون الخناق، ولم يترك له فرصة المماحكة بادعاء أنه ربّي موسى صغيراً، فأبعد موسى عن سبب إيمانهم.

ولعل غلبة تقديم «موسى» على «هارون» ﷺ في الذكر الحكيم يُقوّي القول بخصوصية من قدموا «هارون» على «موسى» وقلة عددهم، وعمومية من قال بالعكس وكثرتهم الكاثرة؛ وعليه تتجلى المطابقة؛ إذ جاء النظم الكريم بتقديم «موسى» في مواضع أكثر بإزاء كثرة العوام الذين نطقوا بذلك بلا تمحيص لقضية الإيمان بالله تعالى وتحريرها بإغلاق الطريق على مماحكات فرعون ومغالطاته، بينما جاء النظم الشريف بتقديم «هارون» مرة واحدة بإزاء قلة الخواص الذين قالوا بذلك؛ تحقيقاً لقضية التوحيد بعيداً عن «موسى» ﷺ.

وقال الشيخ بادحدح: «ذكروا (هارون) مقدّمًا على (موسى) في سورة طه،

(١٣٨) محمد متولي الشعراوي، «تفسير الشعراوي - الخواطر». (د.ط، مطابع أخبار اليوم، د.ت)،



ومؤخراً عنه في الشعراء، وهارون ما ألقى عصا ولا جابه سحرهم، إنما أرادوا بهذا أن يقولوا: آمنة بالإيمان الحقيقي، آمنة برب هارون الذي لم يعمل لنا شيئاً، ولم يواجهنا بعصا، كما آمنة برب موسى، فنحن لم نؤمن بالعصا، لم نؤمن بهذه القوة الظاهرية، وإنما عرفنا أنها تعبر عن صدق في الرسالة، وحقيقة الإيمان الذي بُعث به موسى عليه السلام» (١٣٩).



(١٣٩) علي بن عمر بادحدح، «دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

<http://www.islamweb.net>



المحور الثاني من وجوه الإعجاز البلاغي

لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه ليتصل بما بعده ترهيباً منه

يقول الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آتِقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ أَلْيَمِينَ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ۝١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ [الكهف: ١٨ - ٢٠].

الظاهر أن الذي يقتضي الظاهر تقديمه جاء مؤخرًا في موضعين من هذه الآيات الكريمات: الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾، والثاني قوله تعالى: ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾.

أما الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾، فأخرت فيه جملة ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ على جملة: ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، والعادة جارية على أن التأثر بالشيء والانفعال له والامتلاء منه خوفًا ورُعبًا يسبق مرحلة الفرار والهرب منه، وأن الفرار والهرب منه يكون فرعًا على الامتلاء خوفًا، ومرحلة تالية له.

وبناء على ذلك كان الظاهر أن تسبق جملة: ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ جملة:



﴿لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾؛ فيقال -في غير القرآن الكريم طبعًا-: لو اطلعت عليهم لمِلْتُ منهم رُعبًا وَلَوَلَّيْتُ منهم فِرَارًا... لكن التلاوة الكريمة عكست هذا الترتيب، فَقَدَمَتِ الثاني، وجاءت التلاوة الشريفة: ﴿لَوِ اُطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمِلْتُ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ فترى ما السرُّ في ذلك؟

قلتُ: الظاهر أن الأولى بالتقديم هنا -وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمِلْتُ مِنْهُمْ رُعبًا﴾- جاء مؤخرًا، لكن التحقيق يُفْضِي إلى أن تراكُم الخوف في النفس حتى يبلُغ فيها حدَّ الامتلاء لا يكون دفعة واحدة، بل إنه يتزايد ويتصاعد في نفس الخائف المرعوب، ويتضاعف فيها وعليها مرة بعد مرة، كلما استحضر الخائف في ذاكرته ووعيه مشهد هؤلاء الفتية الذين «أَلْقَى [الله ﷻ] عَلَيْهِمُ الْمَهَابَةَ؛ بِحَيْثُ لَا يَقَعُ نَظْرُ أَحَدٍ عَلَيْهِمْ إِلَّا هَابَهُمْ؛ لِمَا أُلْبَسُوا مِنَ الْمَهَابَةِ وَالذُّعْرِ؛ لِئَلَّا يَدْنُو مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَا تَمَسَّهُمْ يَدٌ لَا مِسٍّ...» (١٤٠).

وعلى ذلك يكون الترتيب الذي جاءت عليه التلاوة الشريفة تصاعديًا، ولا تأخير فيه الأولى بالتقديم، وتكون النظرة الأولى إلى هؤلاء الفتية صدمةً للناظر إليهم، تعيده وتبعده عنهم فيولِّهم فارًّا، وأثناء فراره يتذكَّر الصورة المخيفة فيتفاقم عليه الخوف، ويملؤه الرعب (١٤١): ﴿لَوِ اُطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمِلْتُ مِنْهُمْ رُعبًا﴾.

(١٤٠) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ٥: ١٤٥.

(١٤١) للأمانة العلمية أقول: هذا التوجيه حدَّثني أحد طلاب العلم في كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة- هو الدكتور/ أحمد محمد عطية زيادة -يروي عن أحد أشياخه- وأحسبه يروي عن فضيلة الدكتور/ عبد الرحمن العدوي، ولم أقرأه في كتابٍ.



وأما الموضع الآخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ ﴿١٤٢﴾ فيلفت فيه أن الفتية المؤمنة بالله ﷺ قد رتبت على ظهور ^(١٤٢) الكفار عليهم - جزاءين خطيرين: الأول: رجم الكفار إياهم - أي: قتلهم إياهم ^(١٤٣) - والثاني: إعادتهم إياهم في ملتهم [الكفر].

والطبعي أن إعادة الكفار إياهم في ملتهم «الشرك بالمجوسية» ^(١٤٤)، يسبق في الواقع رجمهم إياهم وقتلهم؛ لأن الرجم والقتل إنما يكونان عقوبة لرفضهم العود في ملتهم حال رفضهم العود فيها، وبهذا الاعتبار يكون الذي يقتضي الظاهر تقديمه منهما ذكر الإعادة في ملة الكفر... فما الذي دعا الفتية الموحدة إلى تأخير احتمال إعادتهم في الكفر على احتمال رجمهم؟

بانعام النظر في ذلك التصرف النظمي يبدو أن تأخير الأولى بالتقديم [الإعادة في الكفر]، وتقديم الثاني الأولى بالتأخير [الرجم]، يحقق إشارتين دقيقتين تحتمل ذلك الترتيب؛ إحداهما تتعلق بالمؤخر، والثانية تتعلق بالمقدم:

(١٤٢) «وَالظُّهُورُ أَصْلُهُ: الْبُرُوزُ دُونَ سَاتِرٍ. وَيُطْلَقُ عَلَى الظَّفَرِ بِالشَّيْءِ، وَعَلَى الْعَلَبَةِ عَلَى الْغَيْرِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا». ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٨٦: ١٥.

(١٤٣) «فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يقتلوكم - قاله ابن عباس - وقال الزجاج: يقتلوكم بالرجم، والثاني: يرموكم بأيديهم، استنكاراً لكم - قاله الحسن، والثالث: بألسنتهم شتماً لكم، قاله مجاهد، وابن جريج». ابن الجوزي، «زاد المسير في علم التفسير»، ٧٣: ٣.

(١٤٤) الجرجاني، «درج الدرر في تفسير الآي والسور». دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحسني، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي. تنبيه: تحقيق (الفاتحة والبقرة) هو أطروحة الماجستير للمحقق، (ط١)، بريطانيا: مجلة الحكمة، ١٤٢٩هـ -



الإشارة الأولى: وهي تُستفاد من تأخير المؤخر، وهي أن تأخير الذي يقتضي الظاهر تقديمه هنا يُحقق ضَمَّ المناسب إلى مُناسبه؛ إذ الذي يناسب فاصلة الآية الكريمة: ﴿وَلَنْ نُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ من هاتين العقوبتين: ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ هي العقوبة المؤخرة -الذي يقتضي الظاهر تقديمها- بل إن تأخيرها لتتعلق وتتصل مباشرة بالفاصلة: ﴿وَلَنْ نُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ حَتَّم لا يجوز سواه.

إنَّ عدم الفلاح -في جملة الفاصلة- مرتبط بعقوبة العود في ملة الكفر: ﴿يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾، أمَّا العقوبة المقدّمة: ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ فلازمة الصمود على الإيمان حتى الخروج من الدنيا، والخروج من الدنيا على الإيمان هو الفلاح كل الفلاح.

ولما كانت تلك الإشارة أخطر الإشارتين على الفتية المؤمنة -لما فيها من الخسران المبين برابطها بنفي الفلاح المؤكّد عنهم- كانت أجدر الإشارتين وأبرعهما، وكان تأخيرها ألفت للمتلقّي.

الإشارة الثانية: تتعلق بتقديم المهمّ الأولى بالتأخير، وهو الإيحاء بأن الملك الظالم كان «عازماً على قتلهم لو ظفّر بهم»^(١٤٥)، فالشرُّ متمكّن من نفس ذلك الحاكم الظالم «دقّينوس»^(١٤٦)، أو «دقيّانوس»^(١٤٧) -الذي فرّوا من كفره وظلمه- وأنه مُعطّش إلى القتل والدّماء، ويغلب عليه التهور ويطغى عليه الظلم، ولا يقوده عقل إلى البدء بإنذار الفتية أولاً من التمادي في إيمانهم، وتهديدهم بالعقوبة الأليمة

(١٤٥) أبو حيان الأندلسي، «البحر المحيط في التفسير»، ٧: ١٥٧.

(١٤٦) الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ١٧: ٦٣٠.

(١٤٧) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ٥: ١٤٥.



إن لم يعودوا في ملته، فإذا رفضوا فقد استوجبوا الرجم، وليكن حينئذ الرجم... لكن الفتك بالمؤمنين أحب إليه، وأولى لديه من إعادتهم في ملته الباطلة؛ حتى وإن كان في إعادتهم تكثيراً لسواده الكافر.

ويدعم تلك الإشارة الدقيقة اختياره لهم الموت رَجْمًا لا ضربًا بالسيف، ولا رميًا بالسهم مثلاً لأن «الرَّجْمَ أَخْبَثُ أَنْوَاعِ الْقَتْلِ»^(١٤٨)، فيكون موتهم على هذه الصفة أشدَّ إيلاًماً وأمدَّ تعذيباً وأبقى خزيةً بين الناس، ولأن الرجم «أفضح أنواع [القتل]»^(١٤٩)، فيكونون عبرة لغيرهم ممن قد يُفكر في اعتناق التوحيد من الناس.

وإن كانت خلفية الفتية المؤمنة عن طباع قومهم وحاكمهم الظالم غلبة الجهالة والظلم؛ فـ«أو» في قولهم: ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ ليست للتخيير، بل لمجرد تعديد الاحتمالات الممكنة، المُرجَّح أسبقها ذكراً - كما سلف في هذه الإشارة الثانية - وهو الرجم مباشرة بلا تخيير.

وإن كانت معرفة الفتية بقومهم تقضي ببقية حكمة في مثله، فتعاطف العقوبتين بـ«أو» في قولهم: ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يفيد التخيير، وأن الكفار قد يُخَيَّرُونَ الفتية بين الأمرين: أن يختاروا لأنفسكم إما الرجم أو العود في الكفر، والله تعالى أعلم.

أم أن «أو» في قولهم: ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ تحتل معنى «حتى»؟ ويظل الرجم هنا مجرد تهديد وتعذيب لا يصل إلى حد القتل؟ وهل قال بذلك أحد من العلماء؟

(١٤٨) الرازي، «مفاتيح الغيب»، ٤٤٦: ٢١.

(١٤٩) الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ٤٣١: ٢.

نعم، وجدت للإمام ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** إشارة تفسّر حرف العطف «أو» في قولهم: ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ بـ «حتى»، أو «إلى أن» -بحسب نصّه- وعلى هذا ينتفي أن يكون بين العقوبتين المتعاطفتين بـ «أو» تقديم وتأخير، يقول **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى**: «يَخَافُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَطْلِعُوا عَلَى مَكَانِهِمْ، فَلَا يَزَالُونَ يُعَذِّبُونَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ إِلَى أَنْ يُعِيدُوهُمْ فِي مِلَّتِهِمْ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا»^(١٥٠)، وعلى ذلك التفسير يصير الترتيب طبيعياً برجمهم وتعذيبهم حتى يعودوا عن إيمانهم إلى ملة الكفر.

ولو أبان الإمام ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** عن وجه ترجيح التعبير بـ «أو» هنا في موضع «حتى»، وإنابة «أو» مناب «حتى» أو «إلى أن» كما عبّر - لكان لمخالفته جمهور العلماء في تفسير الرجم بالقتل وجه مقبول، وإذ لم يُبين عن وجه تلك الإنابة فسيظل قوله مرجوحاً، وسيظل في ترتيب العقوبتين لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه، والله تعالى أعلم.

وقال الإمام أبو زهرة: «و (أو) هنا في معنى (إلا)، أي: يرموكم، ولن ينجيكم من الرجم إلا أن تعودوا طوعاً أو كرهاً إلى الوثنية»^(١٥١)، وهو قريب من قول ابن كثير السابق.



(١٥٠) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ٥: ١٤٥.

(١٥١) أبو زهرة، «زهرة التفاسير»، ٩: ٤٥١٠.



الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلِّ اللهم وسلم وزدْ وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وتبعه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد؛ فقد تجلَّتْ لنا خلال هذه السياحة المباركة - في رحاب تدبُّر البلاغة القرآنية الكريمة - بعضُ الظواهر البلاغية الرائقة، وبعض الأغراض النظمية الفائقة، للتأخير الذي يقتضي الظاهر تقديمه في الذكر الحكيم؛ منها:

أولاً: أن وصف «الأولى» لا يختصُّ بطيب العقائد، أو شرف الأشخاص، أو رقيِّ الأخلاق، أو عظمة الأحداث، أو غير ذلك... وإنما هي أولوية رتبة ودرجة في بابها، مهما كانت من خير أو شرٍّ، شأن المؤخَّر الأولى بالتقديم في ذلك شأن المقدَّم الذي حقُّه التأخير في بابِه هنالك.

ودرجة نفوق الأولى فيما اشتهر فيه من صفاتٍ هي التي تمنحُه أولوية التقديم، ومجيئه - مع أولوية التقديم - مؤخَّراً - في الذكر - كان دافع البحث عن مقتضيات تأخيرِه، وهذه الدقائق من لباب إعجاز الذكر الحكيم.

ثانياً: أن الذكر الحكيم يتميز ويتفرد بتحقيق التوازن بين المقدم والمؤخَّر - الأولى بالتقديم - من حيث وفرة الأغراض الشرعية والإشارات واللطائف البلاغية، ومن تلك الأغراض واللطائف ما يتجلَّى للناظر، ومنها ما يدقُّ فيتوارى ويحتجب؛ غير أننا نعتقد اعتقاداً لا يخالجه شكُّ أن هاهنا - خلف المؤخَّر الأولى بالتقديم - أسراراً.



ثالثاً: أن الذكر الحكيم قد يؤثر تأخير الذي يقتضي الظاهر تقديمه؛ إبعاداً له عن رائحة دلالة لا تلائم رتبته، أو إقصاء له عن ظلال أجواء لا تناسب مرتبته ^(١٥٢).

رابعاً: أن الذكر الحكيم قد يؤخر الأهم -الأولى بالتقديم- حال العطف على غيره إجمالاً؛ ليلحقه بما يناسبه من تفاصيل بعيدة مباشرة، ويؤخر ذلك الغير مع تفاصيله -عند الانتقال من الإجمال إلى التفصيل ^(١٥٣)- ولو قُدم مراعاة للرتبة لفات ذلك الإلحاق المقصود.

خامساً: أن الذكر الحكيم قد يؤخر الأهم -الأولى بالتقديم- عقيدة أو ديانة ^(١٥٤) أو غيرهما؛ تدريجاً في الوصول إليه بتقديم الأدنى رتبة عليه؛ ليكون المقدم الأدنى رتبة وصله إليه وهيئة له.

سادساً: أن القرآن الكريم بينما يُقدم المهم الذي حقه التأخير -رتبة لا إعراباً- في بعض السياقات لغرض يتعلق به، فإنه يُحقق في الوقت ذاته غرضاً آخر يتعلق بتأخير المؤخر الذي يقتضي الظاهر تقديمه، غرضاً لا يتأتى إلا بتأخيره، فيُحقق ذلك التصرف الأسلوبى غرضين على التوازي: أحدهما يتعلق بالمقدم المهم، والآخر: يتعلق بالمؤخر الأهم، ولا ينشغل بتحقيق غرض أحدهما عن تحقيق غرض الآخر، كما هو الحال في كلام غيره مهما أوتي من قوة لسان وفخامة بيان.

سابعاً: أن تأخير الأهم الأولى بالتقديم لفظاً يؤول عند التحقيق إلى تقديمه في بابه رتبة، وأن الإبقاء على تقدمه رتبة إنما يتحقق في ذكره مؤخرًا في السياق الذي

(١٥٢) آية تأخير المساجد في آية الدفع، وتأخير المؤمنين في سورة المدثر.

(١٥٣) مثل آيات أوائل سورة الواقعة.

(١٥٤) كما في آية كذب المحسنات الغافلات المؤمنات.



ورد فيه مؤخرًا، بل إن تقديمه حينئذ قد يقدح في تقدّمه رتبةً.

ثامنًا: أن قرائن المقال ومقتضيات الحال - جليّة أو خفيّة - تتأزّر - غالبًا - على بيان تقدّم رتبة المؤخر - الأولي بالتقديم - مهما تأخر لفظه ذكرًا، وتحليل مواضعه المدروسة في هذا البحث تشهد بذلك.

تاسعًا: أن ما ورد في الذكر الحكيم مؤخرًا من هذا النوع - الذي يقتضي الظاهر تقديمه - لا يصحّ تقديمه في سياقه لفظًا؛ لأن تقديمه لفظًا يخلّ بإشارات ودلالات دقيقة مقصودة، لا يؤدّيها إلا تأخيرُه على وجهه الذي وردت عليه التلاوة الكريمة، وأن وجه الإعجاز إنما يتجلى في ذلك التأخير عند إنعام النظر لمن يطيل سفر الخاطر، الذي نبّه إليه الإمام عبد القاهر **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** (١٥٥).

عاشرًا: أن النظم الكريم يتميز بمراعاة التناسب في المعاني والأحداث المتجاورة في الذكر، كما هي متجاورة متناسبة في واقع الحال، فيقدّم ويؤخر بناء على ذلك.



(١٥٥) يراجع: الجرجاني، «أسرار البلاغة في علم البيان». تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، دار

الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ٣٠.



فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ...﴾	٤١ - ٣٨	المائدة	١٣٦
﴿وَتَحْسَبُهُمْ آتِقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنَقَلْهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ... أَوْ يُعِيدُكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾	٢٠ - ١٨	الكهف	١٦٣
﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۖ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا ۖ﴾	٧٠ - ٦٥	طه	١٥٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	٢٣	النور	١٤٥
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنِّهِمْ ظُلُمُوا ... إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٤٠ - ٣٩	الحج	٩٨
﴿وَقَرُّونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمْلَنَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا...﴾	٣٩	العنكبوت	١٤٠
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ...﴾	٣٢	فاطر	١١٦



الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿فَأَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ ۖ... وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾	١١-٨	الواقعة	١٢٥
﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۖ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	٣١	المدثر	١٣٠





نَبْتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

- القرآن الكريم.
- إبراهيم القطان، «تيسير التفسير». (الشاملة ١٤٣١هـ).
- ابن أبي ثعلبة، يحيى بن سلام البصري القيرواني. «التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه». تحقيق: الدكتورة/ هند شلبي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي. «زاد المسير في علم التفسير». تحقيق: عبد الرزاق المهدي. (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).
- ابن المنير، ناصر الدين، أحمد بن محمد الإسكندري المالكي. «الانتصاف فيما تضمنه الكشف- حاشية على الكشف للزمخشري». (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
- ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد. «التسهيل لعلوم التنزيل». تحقيق: الدكتور/ عبد الله الخالدي. (ط١، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).
- ابن حزم، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي. «المحلى بالآثار». تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري. (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٣١هـ).
- ابن عادل، أبو حفص سراج الدين، عمر بن علي. «اللباب في علوم الكتاب». تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر. «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». (د.ط، تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤هـ).
- ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني. «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد». تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. (د.ط، القاهرة: نشر الدكتور/ حسن عباس زكي، ١٤١٩هـ).
- ابن عرفة، محمد بن محمد الورغمي التونسي المالكي، «تفسير ابن عرفة». تحقيق: جلال الأسيوطي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).
- ابن عطية، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي. «المحرر



الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

- ابن فرقد، محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني. «الأصل». تحقيق: الدكتور / محمد بوينو كالن. (ط ١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).
- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي. «تفسير القرآن العظيم». تحقيق: سامي بن محمد سلامة. (ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي. «البحر المحيط في التفسير». تحقيق: صدقي محمد جميل. (ط. دار الفكر - بيروت ١٤٢٠هـ).
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. «زهرة التفاسير». (د.ط، دار الفكر العربي، د.ت).
- الإبياري، إبراهيم بن إسماعيل. «الموسوعة القرآنية». (د.ط، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ).
- الإستانبولي، أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى. «روح البيان». (د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٣١هـ).
- الأصبهاني، أبو القاسم، إسماعيل بن محمد. «الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة». تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، محمد بن محمود أبو رحيم. (ط ٢، الرياض: دار الراية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
- الألوسي، شهاب الدين، محمود بن عبد الله. «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». تحقيق: علي عبد الباري عطية. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- البغوي، الحسين بن مسعود. «معالم التنزيل في تفسير القرآن». تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش. (ط ٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور». (د.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت).
- البيضاوي، أبو سعيد، عبد الله بن عمر بن محمد. «أنوار التنزيل وأسرار التأويل». تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. «السنن الصغرى». تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. (ط ١، كراتشي: جامعة الدراسات الإسلامية، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).
- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد. «الجواهر الحسان في تفسير القرآن». تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود. (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).



- الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم. «الكشف والبيان عن تفسير القرآن». تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
- الجرجاني، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن. «أسرار البلاغة في علم البيان». تحقيق: عبد الحميد هندراوي. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- الجرجاني، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن. «دلائل الإعجاز». تحقيق: محمود محمد شاكر. (ط ٣، القاهرة - جدة: مطبعة المدني - دار المدني، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).
- الجزائري، أبو بكر، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر. «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير». (ط ٥، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- الجزيري، عبد الرحمن بن محمد عوض. «الفقه على المذاهب الأربعة». (ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ٥: ٢٠٠.
- الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي. «معارض القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول». تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، (ط ١، الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد. «لباب التأويل في معاني التنزيل». تحقيق: محمد علي شاهين. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ).
- الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد. «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير». (د.ط، القاهرة: بولاق، ١٢٨٥هـ).
- الخطيب، عبد الكريم يونس. «التفسير القرآني للقرآن». (د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت).
- الدارقطني، أبو الحسن، علي بن عمر. «سنن الدارقطني». تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم. (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).
- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. «إعراب القرآن وبيانه». (ط ٤، دمشق - بيروت: دار اليمامة - دار ابن كثير، ١٤١٥هـ).
- الرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن، خطيب الري. «مفاتيح الغيب - التفسير الكبير». (ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد. «المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة». تحقيق: د/ محمد عبد العزيز بسيوني. (ط ١، جامعة طنطا: كلية الآداب، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل. «معاني القرآن وإعرابه». تحقيق: عبد الجليل عبده



- شليبي. (ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى. «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج». (ط ١، دمشق: دار الفكر - بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).
 - الزحيلي، وهبة بن مصطفى. «التفسير الوسيط». (ط ١، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٢هـ).
 - الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد جار الله. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». (ط ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
 - السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر. «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن». (ط ١، السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٢هـ).
 - سعيد، أحمد محمد محمود. «من وجوه الإعجاز النظمي في آيات الإنس والجن - التقديم والتأخير». حوليّة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، فرع جامعة الأزهر بدسوق، ع. ٤، عام (٢٠٠٢م).
 - السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد. «بحر العلوم». (الشاملة: ٥١٤٣١هـ).
 - السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار. «تفسير القرآن». تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. (ط ١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
 - السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر. «الدر المنثور». (د. ط، بيروت: دار الفكر، د. ت).
 - الشعراوي، محمد متولي. «تفسير الشعراوي - الخواطر». (د. ط، مطابع أخبار اليوم، د. ت).
 - الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن». (د. ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
 - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. «فتح القدير». (ط ١، دمشق - بيروت: دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).
 - الصابوني، محمد علي. «مختصر تفسير ابن كثير». (ط ٧، بيروت: دار القرآن الكريم، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م).
 - الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد. «المعجم الكبير». تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. (ط ١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
 - الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير. «جامع البيان عن تأويل آي القرآن». تحقيق: الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط ١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
 - طنطاوي، محمد سيد. «التفسير الوسيط للقرآن الكريم». (ط ١، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة



- والنشر والتوزيع، ١٩٩٨ م).
- الطوفي، نجم الدين، أبو الريح، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم. «الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية». تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
- العمادي، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى. «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم». (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت).
- الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي. «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل». وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي. (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت).
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم. «محاسن التأويل». تحقيق: محمد باسل عيون السود. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ).
- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري. «الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي». تحقيق: إبراهيم البسيوني. (د.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت).
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. «لطائف الإشارات». تحقيق: إبراهيم البسيوني. (ط٣، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٣١ هـ).
- القنوجي، أبو الطيب، محمد صديق خان البخاري. «فتح البيان في مقاصد القرآن». غني بطبعه وقدم له وراجعاه خدام العلم/ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. (د.ط، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).
- الكرمان، أبو القاسم، محمود بن حمزة بن نصر. «غرائب التفسير وعجائب التأويل». (د.ط، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية - بيروت: مؤسسة علوم القرآن، د. ت).
- الماتريدي، أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود. «تفسير الماتريدي - تأويلات أهل السنة». تحقيق د/ مجدي باسلوم. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
- الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد. «الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، وهو شرح مختصر المزني». تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م).
- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. «التفسير الوسيط للقرآن الكريم». (ط١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).



- محمد رشيد رضا. «تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار». (د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م).
- محمود صافي. «الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة». (ط٣، دمشق: دار الرشيد - بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- المراغي، أحمد بن مصطفى. «تفسير المراغي». (ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).
- المروزي، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد. «تفسير القرآن». تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. (ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- المظهر، محمد ثناء الله. «التفسير المظهري». تحقيق: غلام نبي التونسي. (د.ط، باكستان: مكتبة الرشدية، ١٤١٢هـ)، ٧: ٣٠٢.
- مقاتل بن سليمان. «تفسير مقاتل بن سليمان». تحقيق: عبد الله محمود شحاته. (د.ط، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ).
- النسفي، أبو البركات، عبد الله بن أحمد. «مدارك التنزيل وحقائق التأويل». تحقيق: يوسف علي بديوي. (ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- النيسابوري، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري. «صحيح مسلم». تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي. «غرائب القرآن ورجائب الفرقان». تحقيق: الشيخ زكريا عميرات. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ).
- الهروي، محمد الأمين بن عبد الله. «تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن». مراجعة: الدكتور/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي. (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري. «أسباب نزول القرآن». تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. (ط٢، الدمام: دار الإصلاح، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري. «الوسيط في تفسير القرآن المجيد». تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).





References and Sources

- The Holy Quran
- Ibrāhīm al-Qaṭṭān, “*Tafsīr Al-Tafsīr*”, (Al-Shamīlah 1431 AH)
- Ibn Abī Tha‘labah, Yaḥyā ibn Sallām al-Baṣrī al-Qayrawānī. “*Alṭṣāryf Li-Tafsīr Al-Qur‘ān Mimmā Ashtbht Asmā‘ih Wa-Taṣarāfat Ma‘ānīh*”. Investigated by: Dr. Hind Shalabi. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1425 AH - 2004 AD).
- Ibn al-Jawzī, Jamāl al-Dīn Abū al-Faraj, ‘Abd al-Raḥmān ibn ‘Alī. “*Zād Al-Masāir Fī ‘ilm Al-Tafsīr*”. investigated by: ‘Abd al-Razzāq al-Mahdī. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1422 AH).
- Ibn Al-Monayyar Nasseru Ddin, Ahmed bin Mohammed Aleskandarri, Almalekki, “*Alāntṣāf Fīmā Taḍammanahu Alkshāf- Ḥāshiyah ‘alā Al-Kashshāf Lil-Zamakhsharī*”. (3rd Edition, Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1407 AH).
- Ibn Jazii, Abū al-Qāsim, Muḥammad ibn Aḥmad. “*Al-Tas’hīl Li-‘Ulūm Al-Tanzīl*”. investigated by: Dr. ‘Abd Allāh al-Khālīdī. (1st Edition, Beirut: Dār al-Arḥam ibn Abī al-Arḥam Co. 1416 AH).
- Ibn Hazm, Abū Muḥammad, ‘Alī ibn Aḥmad ibn Sa‘īd al-Andalusī. “*Al-Muḥallā Wa-Al-Āthār*”. investigated by: ‘Abd al-Ghaḥfār Sulaymān al-Bindārī. (No Edition, Beirut: Dār al-Fikr, 1431 AH).
- Ibn ‘Ādil, Abū Ḥaḥṣ Sirāj al-Dīn, ‘Umar ibn ‘Alī. “*Al-Lubāb Fī ‘ulūm Al-Kitāb*”. investigated by: ‘Ādil Aḥmad ‘Abd al-Mawjūd, ‘Alī Muḥammad Mu‘awwad. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1419 AH-1998 AD).
- Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. “*Taḥrīr Al-Ma‘nā Al-Sadīd Wa-Tanwīr Al-‘aql Al-Jadīd Min Tafsīr Al-Kitāb Al-Majīd*”. (No Edition, Tunisia: al-Dār al-Tūnisīyah, 1984 AH).
- Ibn ‘Ajībah, Aḥmad ibn Muḥammad ibn al-Mahdī al-Ḥasanī. “*Al-Baḥr Al-Madīd Fī Tafsīr Al-Qur‘ān Al-Majīd*”. investigated by: Aḥmad ‘Abd Allāh al-Qurashī Raslān. (No Edition, Cairo : Nashr Dr. Ḥasan ‘Abbās Zakī, 1419 AH).
- Ibn ‘Arafah, Muḥammad ibn Muḥammad al-Warghamī al-Tūnisī al-Mālikī, “*Tafsīr Ibn ‘Arafah*”. investigated by: Jalāl al-Asyūṭī, (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 2008 AD).
- Ibn ‘Aṭīyah, Abū Muḥammad, ‘Abd al-Ḥaqq ibn Ghālīb ibn ‘Abd al-Raḥmān ibn Tammām al-Andalusī al-Muḥārībī. “*Al-Muḥarrir Al-Wajīz Fī Tafsīr Al-Kitāb Al-‘Azīz*”.



investigated by: ‘Abd al-Salām ‘Abd al-Shāfi Muḥammad. (No Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, No Date).

- Ibn Farqad, Muḥammad Ibn Al-Ḥasan Ibn Farqad Al-Shaybānī. “*Al-Aṣl*”. investigated by: Dr. Muḥammad Bwynwkāl. (1st Edition, Beirut: Dār Ibn Ḥazm, 1433 AH-2012 AD).
- Ibn Kathīr, Abū al-Fidā’, Ismā‘īl ibn ‘Umar al-Qurashī al-Baṣrī, al-Dimashqī. “*Tafsīr Al-Qur’ān Al-‘Azīm*”. investigated by: Sāmī ibn Muḥammad Salāmah. (2nd Edition, Dār Ṭaybah Publishing and Distribution, 1420 AH-1999 AD).
- Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf ibn ‘Alī ibn Yūsuf ibn Ḥayyān al-Andalusī. “*Al-Baḥr Al-Muḥīṭ Fī Al-Tafsīr*”. investigated by: Ṣidqī Muḥammad Jamīl. (No Edition, Dār al-fkr-Beirut 1420 AH).
- Abū Zahrah, Muḥammad ibn Aḥmad ibn Muṣṭafā ibn Aḥmad. “*Zahrāt Al-Tafsīr*”. (No Edition, Dār al-Fikr al-‘Arabī, No Date).
- Al-Ibyārī, Ibrāhīm ibn Ismā‘īl. “*Al-Mawsū‘ah Al-Qur’āniyah*”. (No Edition, Sijill al-‘Arab Foundation, 1405 AH).
- Al-Iṣṭānbūlī, Abū Al-Fidā’, Ismā‘īl Ḥaqqī Ibn Muṣṭafā. “*Rūḥ al-Bayān*”. (No Edition, Beirut : Dār al-Fikr, 1431 AH).
- Al-Aṣbahānī, Abū al-Qāsim, Ismā‘īl ibn Muḥammad. “*Al-Ḥujjah Fī Bayān Al-Maḥajjah Wa-Sharḥ ‘Aqīdat Ahl Al-Sunnah*”. investigated by: Muḥammad ibn Rabī‘ al-Madkhalī, Muḥammad ibn Maḥmūd Abū Raḥīm. (2nd Edition, Riyadh : Dār al-Rāyah, 1419 AH - 1999 AD).
- Al-Alūsī, Shihāb al-Dīn, Maḥmūd ibn ‘Abd Allāh. “*Rūḥ Al-Ma‘ānī Fī Tafsīr Al-Qur’ān Al-‘Azīm Wa-Al-Sab‘ Al-Mathānī*”. investigated by: ‘Alī ‘Abd al-Bārī ‘Atīyah. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyah, 1415 AH).
- Al-Baghawī, Al-Ḥusayn ibn Mas‘ūd. “*Ma‘ālim Al-Tanzīl Fī Tafsīr Al-Qur’ān*”. investigated by: Muḥammad ‘Abd Allāh al-Nimr, ‘Uthmān Jum‘ah Ḍumayrīyah, Sulaymān Muslim al-Ḥarsh. (4th Edition, Dār Ṭaybah Publishing and Distribution, 1417 AH-1997 AD).
- Al-Biqā‘ī, Ibrāhīm ibn ‘Umar ibn Ḥasan. “*Nazm Al-Durar Fī Tanāsub Al-Āyāt Wa-Al-Suwar*”. (No Edition, Dār al-Kitāb al-Islāmī, Cairo, No Date).
- Al-Bayḍāwī, Abū Sa‘īd, ‘Abd Allāh ibn ‘Umar ibn Muḥammad. “*Anwār Al-Tanzīl Wa-Asrār Al-Ta‘wīl*”. investigated by: Muḥammad ‘Abd al-Raḥmān al-Mar‘ashlī. (1st Edition, Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1418 AH).
- Al-Bayhaqī, Aḥmad ibn al-Ḥusayn ibn ‘Alī. “*Al-Sunan Al-Ṣaghīr*”. investigated by: ‘Abd al-Mu‘ī Amīn Qal‘ajī. (1st Edition, Karachi: University of Islamic Studies, 1410 AH-1989 AD).
- Al-Tha‘ālibī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad. “*Al-Jawāhir Al-Ḥisān Fī Tafsīr Al-*



- Qur'an*". investigated by: Muḥammad 'Alī Mu'awwad, wa-'Ādil Aḥmad 'Abd al-Mawjūd. (No Edition, Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 1418 AH).
- Al-Tha'labī, Abū Ishāq, Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm. "*Al-Kashf Wa-Al-Bayān 'an Tafsīr Al-Qur'an*". investigated by: al-Imām Abī Muḥammad ibn 'Āshūr. (1st Edition, Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 1422 AH-2002 AD).
 - Al-Jurjānī, Abū Bakr, 'Abd al-Qāhir ibn 'Abd al-Raḥmān. "*Asrār Al-Balāghah Fī 'ilm Al-Bayān*". investigated by: 'Abd al-Ḥamīd Hindāwī. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, 1422 AH-2001 AD).
 - Al-Jurjānī, Abū Bakr, 'Abd al-Qāhir ibn 'Abd al-Raḥmān. "*Dalā'il Al-I'jāz*". investigated by: Maḥmūd Muḥammad Shākir. (3rd Edition, Cairo-Jeddah: Al-madanī-Press, Dār Al-Madanī, 1413 AH / 1992 AD).
 - Al-Jazā'irī, Abū Bakr, Jābir ibn Mūsā ibn 'Abd al-Qādir ibn Jābir. "*Aysar Al-Tafsīr Lklām Al-'Alī Al-Kabīr*". (5th edition, Medina: Maktabat al-'Ulūm wa-al-Ḥikam, 1424 AH-2003 AD).
 - Al-Jazīrī, 'Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad 'Awaḍ. "*Al-Fiqh 'alā Al-Madhāhib Al-Arba'ah*". (2nd Edition, Beirut : Dār al-Kutub al-'Ilmiyah, 1424 AH-2003AD), 5 : 200.
 - Al-Ḥakamī, Ḥāfiẓ ibn Aḥmad ibn 'Alī. "*Ma'ārij Al-Qubūl Bi-Sharḥ Sullam Al-Wuṣūl Ilā 'ilm Al-Uṣūl*". investigated by: 'Umar ibn Maḥmūd Abū 'Umar, (1st Edition, al-Dammām : Dār Ibn al-Qayyim, 1410 AH-1990 AD).
 - Al-Khāzin, 'Alā' al-Dīn 'Alī ibn Muḥammad. "*Lubāb Al-Ta'wīl Fī Ma'ānī Al-Tanzīl*". investigated by: Muḥammad 'Alī Shāhīn. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyah 1415 AH).
 - Al-Khaṭīb al-Shirbīnī, Muḥammad ibn Aḥmad. "*Al-Sirrāj Al-Munīr Fī Al-I'ānah 'alā Ma'rifāt Ba'd Ma'ānī Kalām Rabbinā Al-Ḥakīm Al-Khabīr*". (No Edition, Cairo : Būlāq, 1285 AH).
 - Al-Khaṭīb, 'Abd al-Karīm Yūnus. "*Al-Tafsīr Al-Qur'ānī Lil-Qur'an*". (No Edition, Cairo : Dār al-Fikr al-'Arabī, No Date).
 - Al-Dāraqutnī, Abū al-Ḥasan, 'Alī ibn 'Umar. "*Sunan Al-Dāraqutnī*". investigated by: Shu'ayb al-Arnā'ūt, Ḥasan 'Abd al-Mun'im Shalabī, 'Abd al-Laṭīf Ḥirz Allāh, Aḥmad Barhūm. (1st Edition, Beirut: al-Risālah Foundation, 1424 AH-2004 AD).
 - Darwīsh, Muḥyī al-Dīn ibn Aḥmad Muṣṭafā. "*I'rāb Al-Qur'an Wa-Bayānoḥ*". (4th Edition, Dimashq – Beirut : Dār al-Yamāmah-Dār Ibn Kathīr, 1415 AH).
 - Al-Rāzī, Abū 'Abd Allāh, Muḥammad ibn 'Umar ibn al-Ḥasan, Khaṭīb al-rayy. "*Maḥāṭib Alghyb-Al-Tafsīr Al-Kabīr*". (3rd Edition, Beirut : Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 1420 AH).
 - Al-Rāghib al-Aṣfahānī, Abū al-Qāsim, al-Ḥusayn ibn Muḥammad. "*Al-Muqaddimah Wa-Tafsīr Al-Fātiḥah Wālbqrh*". investigated by: Dr. Muḥammad 'Abd al-'Azīz



Basyūnī. (1st Edition, Jāmi‘at Ṭanṭā : Kullīyat al-Ādāb, 1420 AH -1999 AD).

- Al-Zajjāj, Abū Ishāq, Ibrāhīm ibn al-sirrī ibn Sahl. “*Ma‘ānī Al-Qur‘ān Wa-I‘rābuh*”. investigated by: ‘Abd al-Jalīl ‘Abduh Shalabī. (1st Edition, Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 1408 AH -1988 AD).
- Al-Zuhaylī, Wahbah ibn Muṣṭafā. “*Al-Tafsīr Al-Munīr Fī Al-‘aqīdah Wa-Al-Sharī‘ah Wa-Al-Manhaj*”. (1st Edition, Damascus: Dār al-Fikr – Beirut : Dār al-Fikr al-mu‘āṣir, 1411 AH -1991 AD).
- Al-Zuhaylī, Wahbah ibn Muṣṭafā. “*Al-Tafsīr Al-Wasīf*”. (1st Edition, Dimashq : Dār al-Fikr, 1422h).
- Al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim, Maḥmūd ibn ‘Amr ibn Aḥmad Jār Allāh. “*Al-Kashshāf ‘an Ḥaqā’iq Ghawāmiḍ Al-Tanzīl*”. (3rd Edition, Beirut : Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1407h).
- Al-Sa‘dī, Abū ‘Abd Allāh, ‘Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir. “*Taysīr Al-Laṭīf Al-Mannān Fī Khulāṣat Tafsīr Al-Qur‘ān*”. (1st Edition, Saudi Arabia: Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call and Guidance, 1422 AH).
- Sa‘īd, Aḥmad Muḥammad Maḥmūd. “*Min Wujūh Al-I‘jāz Alnẓmy Fī Āyāt Al-Ins Wāljn- Al-Taqdīm Wa-Al-Ta‘khīr*”. Annual Journal of College of Islamic and Arabic Studies in Desouq, Issue 4, (2002).
- Al-Samarqandī, Abū al-Layth Naṣr ibn Muḥammad. “*Baḥr al-‘Ulūm*”. (Al-Shāmilah : 1431 AH).
- A-Sam‘ānī, Abū al-Muzaḥḥar, Maṣṣūr ibn Muḥammad ibn ‘Abd al-Jabbār. “*Tafsīr Al-Qur‘ān*”. investigated by: Yāsir ibn Ibrāhīm wghnym ibn ‘Abbās ibn Ghunaym. (1st Edition, Riyadh : Dār Al-Waṭan, 1418 AH-1997 AD).
- Al-Suyūfī, Jalāl al-Dīn, ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. “*Al-Durr Al-Manthūr*”. (No Edition, Beirut: Dār al-Fikr, No Date).
- Al-Sha‘rāwī, Muḥammad Mutawallī. “*Tafsīr Alsh‘rāwy-Al-Khawāṭir*”. (No Edition, Maṭābi‘ Akhbār al-Yawm, No Date).
- Al-Shinqīṭī, Muḥammad al-Amīn ibn Muḥammad al-Mukhtār. “*Aḍwā’ Al-Bayān Fī Iḍāḥ Al-Qur‘ān Bi-Al-Qur‘ān*”. (No Edition, Beirut: Dār al-Fikr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, 1415 AH-1995 AD).
- Al-Shawkānī, Muḥammad ibn ‘Alī ibn Muḥammad ibn ‘Abd Allāh. “*Faṭḥ Al-Qadīr*”. (1st Edition, Damascus - Beirut : Dār Ibn Kathīr-Dār al-Kalīm al-Tayyib, 1414 AH).
- Al-Ṣābūnī, Muḥammad ‘Alī. “*Mukhtaṣar Tafsīr Ibn Kathīr*”. (7th Edition, Beirut : Dār al-Qur‘ān al-Karīm, 1402 AH-1981 AD).
- Al-Ṭabarānī, Abū Al-Qāsim, Sulaymān ibn Aḥmad. “*Al-Mu‘jam Al-Kabīr*”. investigated by: Ḥamdī ibn ‘Abd al-Majīd al-Salafī. (1st edition, Cairo : Maktabat Ibn Taymīyah, 1415h-1994).



- Al-Ṭabarī, Abū Ja'far, Muḥammad ibn Jarīr. "Jāmi' Al-Bayān 'an Ta'wīl Āy Al-Qur'ān". investigated by: Dr. 'Abd Allāh ibn 'Abd al-Muḥsin al-Turkī. (1st Edition, Dār Hajar For printing, publishing, distribution and advertising, 1422 AH-2001 AD).
- Ṭanṭāwī, Muḥammad Sayyid. "Al-Tafsīr Al-Wasīṭ Lil-Qur'ān Al-Karīm". (1st edition, Cairo : Dār Nahḍat Miṣr For printing, publishing, and distribution, 1998 AD).
- Al-Ṭūfī, Najm al-Dīn, Abū al-Rabī', Sulaymān ibn 'Abd al-Qawī ibn 'Abd al-Karīm. "al-Ishārāt Al-Ilāhīyah Ilā Al-Mabāḥith Al-Uṣūlīyah". investigated by: Muḥammad Ḥasan Muḥammad Ḥasan Ismā'īl. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1426 AD-2005 AD).
- Al-'Imādī, Abū al-Sa'ūd, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Muṣṭafā. "Irshād Al-'aql Al-Salīm Ilā Mazāyā Al-Kitāb Al-Karīm". (No Edition, Beirut: Dār Ihya' al-Turāth al-'Arabī, No Date).
- Al-Gharnāfī, Abū Ja'far, Aḥmad ibn Ibrāhīm ibn al-Zubayr al-Thaqafī. "Malāk Al-Ta'wīl Al-Qāfi' Bdhwy Al-Ilhād Wa-Al-Ta'īl Fī Tawjīh Al-Mutashābih Al-Lafz Min Āy Al-Tanzīl". Annotated by : 'Abd al-Ghanī Muḥammad 'Alī al-Fāsī. (No Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, No Date).
- Al-Qāsimī, Muḥammad Jamāl al-Dīn ibn Muḥammad ibn Sa'īd ibn Qāsim. "Maḥāsin Al-Ta'wīl". investigated by: Muḥammad Bāsīl 'Uyūn al-Sūd. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1418 AH).
- Al-Qurṭubī, Abū 'Abd Allāh, Muḥammad ibn Aḥmad ibn Abī Bakr ibn Farah al-Anṣārī. "Al-Jāmi' Li-Aḥkām Alqr'ān - Tafsīr Al-Qurṭubī". investigated by: Ibrāhīm al-Basyūnī. (No Edition, Egypt : Egyptian General Book Authority, No Date).
- al-Qushayrī, 'Abd al-Karīm ibn Hawāzin ibn 'Abd al-Malik. "Laṭā'if Al-Ishārāt". investigated by: Ibrāhīm al-Basyūnī. (3rd Edition, Egypt : Egyptian General Book Authority, 1431 AH).
- Al-Qinnawjy, Abū al-Ṭayyib, Muḥammad Ṣiddīq Khān al-Bukhārī. "Fṭhu Al-Bayān Fī Maqāṣid Al-Qur'ān". Printed, introduced, and cared by: 'Abd Allāh ibn Ibrāhīm al-nṣāry. (No Edition, Beirut: al-maktb al-'sryyah Print and Publishing, 1412 AH-1992 AD).
- Al-Kirmānī, Abū al-Qāsim, Maḥmūd ibn Ḥamzah ibn Naṣr. "Gharā'ib Al-Tafsīr Wa-'ajā'ib Al-Ta'wīl". (No Edition, Jeddah : Dār al-Qiblah Islamic Culture – Beirut : 'Ulūm al-Qur'ān Foundation, No Date).
- Al-Māturīdī, Abū Mansūr, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Maḥmūd. "Tafsīr Almātrydy-Ta'wīlāt Ahl Al-Sunnah". Investigated by Dr. Majdī Bāslūm. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 1426 AH-2005 AD).
- Al-Māwardī, Abū al-Ḥasan, 'Alī ibn Muḥammad. "Al-Hāwī Al-Kabīr Fī Fiqh Madhhab Al-Imām Al-Shāfi'ī, Sharḥ Mukhtaṣar Al-Muzanī". investigated by: 'Alī Muḥammad



Mu'awwad, 'Ādil Aḥmad 'Abd al-Mawjūd. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1419 AH - 1999 AD).

- A group of scholars under the supervision of the Islamic Research Academy in Al-Azhar. “*Al-Tafsīr Al-Wasīṭ Lil-Qur’ān Al-Karīm*”. (1st edition, General Authority for Amiri Printing Affairs 1393 AH - 1973 AD, 1414 AH - 1993 AD)..
- Muḥammad Rashīd Riḍā. “*Tafsīr Al-Qur’ān Alḥkym-Tafsīr Al-Manār*”. (No Edition, Egyptian General Book Authority, 1990 AD).
- Maḥmūd Ṣāfi. “*Al-Jadwal Fī I’rāb Al-Qur’ān Wa-Ṣarfihī Wa-Bayānih Ma’a Fawā’id Naḥwīyah Hāmmah*”. (3rd Edition, Damascus : Dār al-Rashīd – Beirut : Al-īmān Foundation, 1416h-1995m).
- Al-Marāghī, Aḥmad ibn Muṣṭafā. “*Tafsīr Al-Marāghī*”. (1st Edition, Egypt : Muṣṭafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Library and Printing Press Company, 1365 AH-1946 AD).
- Al-Marwazī, Abū al-Muẓaffar, Maṣṣūr ibn Muḥammad ibn ‘Abd al-Jabbār ibn Aḥmad. “*Tafsīr Al-Qur’ān*”. investigated by: Yāsir ibn Ibrāhīm wghnym ibn ‘Abbās ibn Ghunaym. (1st Edition, Riyadh : Dār al-waṭan, 1418h-1997m).
- Almazhry, Muḥammad Thanā’ Allāh. “*Al-Tafsīr Almazhry*”. investigated by: Ghulām Nabī al-Tūnisī. (No Edition, Pakīstan : Maktabat al-Rushdīyah, 1412 AH), 7 : 302.
- Muqātil ibn Sulaymān. “*Tafsīr Muqātil Ibn Sulaymān*”. investigated by: ‘Abd Allāh Maḥmūd Shihātah. (No Edition, Beirut, Dār Iḥyā’ al-Turāth, 1423 AH).
- Al-Nasafī, Abū Al-Barakāt, ‘Abd Allāh ibn Aḥmad. “*Madārik Al-Tanzīl Wa-Ḥaqā’iq Al-Ta’wīl*”. investigated by: Yūsuf ‘Alī Budaywī. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kalim al-Ṭayyib, 1419 AH-1998 AD).
- Al-Nīsābūrī, Abū al-Ḥusayn, Muslim ibn Al-Ḥajjāj al-Qushayrī. “*Ṣaḥīḥ Muslim*”. investigated by: Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī. (No Edition, Cairo : Issa Al-Babi Al-Halabi Press and Partners, 1374 AH-1955 AD).
- Al-Nīsābūrī, Nizām al-Dīn al-Ḥasan ibn Muḥammad ibn Ḥusayn al-Qummī. “*Gharā’ib Al-Qur’ān Wa-Raghā’ib Al-Furqān*”. investigated by: al-Shaykh Zakarīyā ‘Umayrāt. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1416 AH).
- Al-Harawī, Muḥammad al-Amīn ibn ‘Abd Allāh. “*Tafsīr Ḥadā’iq Al-Rūḥ Wa-Al-Rayḥān Fī Rawābī ‘ulūm Al-Qur’ān*”. Reviewed by: Dr. Hāshim Muḥammad ‘Alī ibn Ḥusayn Maḥdī. (1st Edition, Beirut: Dār Ṭawq al-najāh, 1421 AH-2001 AD).
- Al-Wāḥidī, Abū al-Ḥasan, ‘Alī ibn Aḥmad ibn Muḥammad ibn ‘Alī al-Nīsābūrī. “*Asbāb Nuzūl Al-Qur’ān*”. investigated by: ‘Iṣām ibn ‘Abd al-Muḥsin al-Ḥumaydān. (2nd Edition, Dammam: Dār al-iṣlāḥ, 1412AH-1992 AD).
- Al-Wāḥidī, Abū al-Ḥasan, ‘Alī ibn Aḥmad ibn Muḥammad ibn ‘Alī al-Nīsābūrī. “*Al-Wasīṭ Fī Tafsīr Al-Qur’ān Al-Majīd*”. investigated by: Sheikh ‘Ādil Aḥmad ‘Abd al-Mawjūd wa-ākharīn. (1st Edition, Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1415 AH-1994 AD).



فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

المستخلص.....	٨٥
المقدمة.....	٨٩
تمهيد.....	٩٥
المبحث الأول: مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ فِي مَقَامِ الْإِسَادَةِ وَالتَّكْرِيمِ.....	٩٧
المحور الأول: مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ إِبْعَادًا لَهُ عَنْ ظِلَالٍ لَا تَلَائِمُهُ، وَإِلْحَاقًا لَهُ بِقَيْدٍ شَرِيفٍ يَرْفَعُهُ.....	٩٨
المحور الثاني: مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ تَرْقِيًّا إِلَيْهِ عَنِ الْأَدْنَى مِنْهُ رُتَبَةً.....	١١٦
المحور الثالث: مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ عَطْفًا عَلَى غَيْرِهِ إِجْمَالًا؛ لِتَقْدِيمِهِ مَعَ مُتَعَلِّقَاتِهِ الشَّرِيفَةِ تَفْصِيلًا.....	١٢٥
المحور الرابع: مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ إِبْعَادًا لَهُ عَنْ سَاحَةِ مَعْنَى لَا يَلِيقُ بِهِ.....	١٣٠
المبحث الثاني: مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الْبَلَاغِيِّ لِتَأْخِيرِ مَا يَقْتَضِي الظَّاهِرُ تَقْدِيمَهُ فِي مَقَامِ الزُّجْرِ وَالْوَعِيدِ.....	١٣٥



المحور الأول: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه تحقيقاً للقضية، ومُراعاةً لترتيب الأحداث لفناً ونشراً ١٣٦

المحور الثاني: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه في مقام ذكر العذاب؛ لتوسيطه بين جناحي طغيانه إمعاناً في إدلاله بهما. ١٤٠

المحور الثالث: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه إنصافاً للمُقدم، شمله المؤخر أو لم يشمله ١٤٥

المبحث الثالث: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه في مقام التشبُّث بالإيمان بالله تعالى ١٥٢

المحور الأول: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه تبرئةً للقضية المُعالجة من شبهة ما لو قدّم ١٥٣

المحور الثاني: من وجوه الإعجاز البلاغي لتأخير ما يقتضي الظاهر تقديمه ليتصل بما بعده ترهيباً منه ١٦٣

الخاتمة ١٦٩

فهرس الآيات القرآنية ١٧٢

ثبت المصادر والمراجع ١٧٤

رومنة المصادر والمراجع ١٨٠

فهرس الموضوعات ١٨٧

تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه



TADABBUR JOURNAL

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (14) Year 7/ Rajab 1444 AH, corresponding to January 2023

(Issn-L): 1658-7642

Q1: 0.375 (2021) معامل تأثير أرسيف لعام

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR JOURNAL Index:

- ✿ **The educational implications deduced from Surat Al-Saff and its educational objectives**
Dr. Mahdi Majed Rizq Ahmed

- ✿ **Aspects of Rhetorical Exegesis In Backgrounding the Apparently- deserving Foregrounding in the Holy Quraan**
Professor Ahmed Mohammed Mahmoud Saeed

- ✿ **"the Qur'an's approach in establishing kinship and demonstrating its virtues"**
SALAMA ABDENNASSER

- ✿ **The Conclusion in What Scholars of Exegetics Stated as "Complete Stopping" and its Impact on the Meaning from the Beginning of the Holy Quran till the End of Al-Kahf Verse (Collection and Study)**
Dr. Adel bin Saad Al-Johani

- ✿ **Aspects of Interpretation and Eloquence in the Hadiths where the Prophet Stated Verses of the Holy Quran» Compiled and Studied**
Dr. Hassan bin Awaadh bin Belal Al-Oufi

- ✿ **Report about «The Overall Tafseer of Quran»**
published by Aldorar Alsaniyyah Foundation

